الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة العلوم الإسلامية.

مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر تخصّص:

دراسات قرآنية موسومة:

التّوجيه البلاغي للقراءات في الكشّاف للزمخشري [نماذج]

إعداد الطالبة:
عمّارية شيخاوي

إشراف الأستاذ الدكتور:
خير الدين سيب

السنة الجامعية 1435/1434هـ - 2014/2013م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أبو بكر بلقايد
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة العلوم الإسلامية.

مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر تخصّص:

دراسات قرآنية موسومة:

التّوجيه البلاغي للقراءات في الكشّاف للزمخشري [نماذج]

إعداد الطالبة:
عمّارية شيخاوي

إشراف الأستاذ الدكتور:
خير الدين سيب

السنة الجامعية 1435/1434هـ - 2014/2013م

إهـــــــــداء

إلى من وجّهاني لدرب العلم وحَرصا عليّ في ذلك والديّ الكريمين.

إلى إخوتي وأخواتي وأحبّتي في الله.

إلى أساتذتي المدرّسين بقسم العلوم الإسلامية – جامعة تلمسان.

إلى رفقاء دربي في الدراسة بقسم العلوم الإسلامية.

أُهدي ثمرة جهدي المتواضع

dreamstime.com

شكر وتقدير

﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾

أحمد الله حمد الشاكرين وإن كنت من المقصّرين على ما منّ عليّ من تسهيل درب العلم وسُبله.

إنّي لأجدُ العبارات تضيق عن المقام إيفاء حقٍّ وإتمام وصفٍ لفضل الأستاذ المشرف عليّ. فقد كان أحرص من نفسي على إنجازي، وفي كنف علمه نشأت ومن مائدة أدبه وفضله تزوّدت، فلا أجد له غير قول القائل:

ولا عيب في مَعْرُفِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ يُبَيِّنُ عَجْزَ الشَّاكِرِينَ عَنِ الشُّكْرِ

ثم إنّ هذا البحث وصاحبته ليشرفان أيّما شرف بالهيئة العلمية المناقشة للبحث فلهم منّي شكر وتقدير وعرفان بالجميل وعند الله أحتسب أجرهم وثوابهم.

وأشكر كل من أمدّني بعلمه ومعرفته ونصحه وتوجيهه، وأخصّ بالذكر

الأستاذ مرداس على توجيهاته القيّمة التي أفادتني في مذكرتي.

والحمد لله الذي أنعم فتفضّل وأعطى فأجزل.

الملخص

التوجيه البلاغي للقراءات في الكشاف للزمخشري [نماذج]

تهدف هذه الدراسة إلى الحديث عن علم التوجيه وإبراز الجانب البلاغي فيه، خاصّة وأنّ الدراسات البلاغية في القراءات قليلة.

وتبرز قيمة هذه الدراسة في أنّ القراءات تلتقي مع البلاغة في تحقيق أهمّ الأهداف التي تهدف إليها البلاغة، وهي إدراك روعة النّظم القرآني والوقوف على سراره.

وقد قُسّم البحث إلى مدخل وفصلين تناولت فيهم التعريف بالمؤلّف وكتابه، ثم الحديث عن علم التوجيه وموقف الزمخشري من القراءات، وجعلت الفصل الأخير للنماذج من المتواتر والشاذ، وختمت بخاتمة ضمّنتها نتائج منها:

- إنّه من البحث تظهر قوّة الصّلة بين القراءات والبلاغة ذلك أنّ علوم العربية إنّما نشأت في كنف القرآن وظلّه.
- وإنّ الإمام الزمخشري أعمل في تفسيره جانب البلاغة في القراءات، ممّا أدى إلى إثراء المعنى وتوسيعه، وأعطى قوّة في فهم القرآن.
- كماأبرز الزمخشري جوانب البلاغة في القراءات بنوعيها المتواترة والشاذّة، وشكّلت القراءات الشاذة الجزء الأكبر من حجم القراءات في تفسيره لأنّها أكثر ما أعمل فيه النحّاة أقلامهم.

كلمات مفتاحية:

التوجيه البلاغي.

موقف الزمخشري من القراءات.

توجيه المتواتر فير الكشاف.

توجيه الشاذ في الكشاف.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل قرآنه هداية للعالمين وتبيانا لكل شيء إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على من لم ينقص من القرآن حرفا محمد المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد:

فإنّ أشرف ما يشتغل به الباحث مدارسة كتاب الله والبحث فيه، والكشف عن أسراره المكنونة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فهو الكتاب الذي لا تنفذ دُرره ولا تنتهي عجائبه.

بذل العلماء عناية خاصّة بتوجيه القراءات وبيان حججها، وكانت أكثر ما تدور حول القضايا اللغوية والنحوية، أمّا البلاغية فهي أقلّ حظا بل وتظهر أحيانا من بين ثنايا التوجيهات النحوية.

وقد تعلّمنا أنّ الزمخشري من بين من برعوا في البلاغة وأنّ ألوانها وأساليبها كانت بارزة في كتابه الكشّاف، كما أنّه ممن تلمّس الأوجه البلاغية المترتبة على تغاير وتنوع القراءات القرآنية، فاستعنت بالله أن يكون موضوع مذكّرتي موسوما "التّوجيه البلاغي للقراءات القرآنية في الكشّاف [نماذج]".

أسباب الاختيار: كان من بين الأسباب التي دفعتني إلى اختيار الموضوع ما يلي:

- إنّ الدراسات البلاغية لا تقف عند حدود الألفاظ وعلاقتها، ولكنها تتعدّى إلى الغوص في المعاني والكشف عمّا وراء دلالات الألفاظ الظاهرة من استعارات وكنايات ومجازات وغيرها.
- عناية الباحثين بتفسير الكشاف.
- الوقوف على صور من التّوجيه البلاغي في تفسير الكشاف لكون صاحبه إعتنى بالبلاغة وبرع فيها.

الإشكالية: هذه الأسباب وغيرها دفعتني إلى التساؤلات التالية.

- ما هي الصلة بين القراءات والبلاغة ؟
- ما مدى إعمال الزمخشري للبلاغة في وجوه القراءات من خلال تفسيره؟
- هل إلتزم الإمام بما صحّ من القراءات في إبراز الوجوه البلاغية أو تعدّاها إلى غيرها؟

أهداف البحث:

يمكن حصر أهداف البحث فيما يأتي:

- البحث عن الصور البيانية والأساليب البلاغية التي تدل عليها وجوه القراءات المختلفة، وبيان روعة التنوّع في الأداء الفني الجمالي.

- التعرّف على منهج هذا الإمام في عرض القراءات وتناولها في كتابه، وإبراز الصور البلاغية عن طريق تنوّع هذه القراءات؟
- بيان أهمية تنوع القراءات في الكشف عن غزارة معاني النص القرآني.

- **الدراسات السابقة:**

قد تبيّن للطالبة أنّ موضوع توجيه القراءات وتناول الإمام الزمخشري لها في كتابه قد دُرس ولكن من زوايا أخرى منها ما يلي:

- مذكرة ماستر موسومة "توجيه القراءة الشاذة عند الزمخشري في كتابه الكشاف نماذج تطبيقية" للطالبة *بكوش صفية*، شعبة العلوم الإسلامية تلمسان، وقد اقتصرت على القراءة الشاذة دون المتواترة واهتمّت بالجانب النحوي واللغوي.
- أطروحة دكتوراه موسومة "صور البيان في تفسير الزمخشري" للطالب *عبد* الجليل مصطفاوي، قسم اللغة العربية وآدابها تلمسان، ولم تتعرّض للتّوجيه ولا القراءات.
- رسالة ماجستار موسومة "تأويل القرآن عند المعتزلة من خلال تفسير الكشّاف"، قسم اللغة والأدب تيزي وزو، للطالب خالد سوماني، والغرض منها كشف الجانب الاعتزالي في الكشاف.
- أطروحة دكتوراه موسومة "القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري" جامعة اليرموك قسم التفسير وعلوم القرآن ولم يركز على الجانب البلاغي كما أهمل القراءة الشاذة.

فجاء موضوع مذكرتي شاملا للقراءات بنوعيها ومركّزا على الجانب البلاغي الذي برع فيه الإمام، لأنّ من البحوث السالفة من ذكر ذلك عرضا لا غرضا.

أهمّ المصادر والمراجع المعتمد عليها: كانت عمدتي في هذا البحث جملة من المصادر والمراجع أهمّها

- كتاب الكشاف للزمخشري، ومن كتب التّفاسير تفسير البحر المحيط لأبي حيان والدر المصون للسمين الحلبي.
- كتب التّوجيه ككتاب الحجّة في القراءات السبع للفارسي، الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب، إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه.
- كتب القراءات، النشر في القراءات العشر لابن الجزري، كتاب التيسير للداني، كتاب السبعة لابن مجاهد، معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب.
- التوجيه البلاغي للقراءات أحمد سعد محمد، البلاغة القرآنية عند الزمخشري.

أهمّ الصعوبات:

إذا كان من الضروري الإشارة إلى الصعوبات التي اعترت العمل فإنّي أذكرها فيما يأتي:

- سعة موضوع القراءات وتوجيهها وحصره في مذكرة لا تتعدّى الستين صفحة يرهق الباحث.
- كثرة الآراء التي تجعل الباحث يقع في حرج لقلة زاده ونقص خبرته.

المنهج المتّبع:

- كان المنهج الذي اتّبعته في مذكرتي الوصفي التّحليلي مستعينة بأداة الاستقراء في جمع المادة العلمية.
- وبالنسبة للأعلام إكتفيت بذكر تراجم بعض الأعلام ممّن أحسبُ أنهم غير معروفين، وهذا لكثرة الأعلام الواردة في بحثي.

وقد اقتضت طبيعة المادة العملية أن توزّع على مقدّمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

- فالمدخل ترجمت فيه للإمام الزمخشري وكتابه الكشاف، وتناولت فيه الحديث عن الزمخشري والتّعريف به، ثم التّعريف بالكشّاف وقيمته العلمية والبلاغية وما أثاره من نشاط فكري.
- أمّا الفصل الأول فتطرّقت فيه إلى معنى القراءات وعلاقتها بالتّفسير، ثم التّعريف بعلم التّوجيه وأنواعه والتّركيز على البلاغي منه، وبعد ذلك تطرّقت إلى القراءات عند الزمخشري وموقفه منها وكيف وظّفها.
- والفصل الثاني: قسّمته إلى مبحثين مبحث تناولت فيه القراءات المتواترة وأساليب بلاغية فيها، ومبحث لنماذج من القراءات الشاذة وكيف وجهها بلاغيا.

ثم ختمت بحثي بخاتمة ضمنتها أهمّ ما توصّلت إليه من نتائج.

ولا يسعني في ختام هذا المقدمة إلاّ أن أتوجه بجزيل الشكر وخالصه وعظيم التّقدير إلى المشرف الأستاذ الدكتور سيب خير *الدين*، الذي جاد عليّ من بحر علمه سنوات عدّة، وأمدّني بتوجيهاته وتوصياته حتى أخرج هذه المذكرة على الصورة التي تليق، فله منّي دوام الدعاء بالبركة في علمه وجهده، ممزوجا بالمحبّة والعرفان الجميل.

والشكر موصول إلى لجنة المناقشة لقبولهم تصحيح وتقويم مذكرتي، كما لا أنسى كل من أمدّني وساعدني في المسيرة العلمية، أو تتلمذت على يديه وهذا جهدي في بحثي وهو جهد المقل ولا شكّ أنّ فيه نقائص لأنه جهد بشري، وإن كنت رمت الكمال ولكن الكمال لذي العزّ والجمال.

تلمسان: في 02شعبان1435هـ الموافق ل 09جوان2014م

الطالبة: شيخاوي عمارية

مدخل

التّعريف بالزمخشري وكتابه الكشّاف

أولا– التعريف بالإمام الزمخشري:

1–مولده ونشأته:

ذكرت كتب التراجم أنّ الإمام أبو القاسم محمود بن محمد بن عمر الخوارزمي الحنفي المعتزلي الملقّب بجار الله، ولد يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة 467 هـ، وقد لقّب بالخوارزمي لأنه ولد في منطقة خوارزم[1] في خراسان[2]، ولقّب بالزمخشري لأنه ولد في منطقة زمخشر[3] في إقليم خوارزم، كما لقّب بجار الله لأنه جاور في مكة المكرمة[4] عند بيت الله الحرام سنوات عديدة.[5]

نشأ الزمخشري وسط أبوين صالحين وتلقى العلم على أبيه عمراً أولاً فقد كان إمام مسجد حفّظ ابنه القرآن، ولا يُعرف عن أسرته الكثير إلاّ بقدر ما حكا هو عنها، لذا نجده يرثي أباه قائلا:

فَقَدْتُهُ فَاضِلاً فَاضَتْ مَـــآثِرُه العِلْمُ وَالأَدَبُ المَـأْثُورُ وَالوَرَعُ

صَامَ النَّهَارَ وَقَامَ اللَّيْلَ وَهُوَ شَجٍ مِنْ خَشْيَةِ الله كَابِي اللَّوْنِ مُمْتَقِعُ.[6]

وقد أتيح للإقليم الذي ولد فيه الزمخشري رؤساء عُنوا أشدّ العناية بالأدب والعلوم فقرّبوا العلماء من مجالسهم وقلّدوهم المناصب الهامّة، فكانت تلك ظروف ساعدت الإمام على طلب العلم.[7]

---

[1] ليس إسما لمدينة بل للنّاحية برمتها فهي الإقليم السادس كما ذكر أهل التراجم، والمدينة العظمى فيها يقال لها جرجانية.(ينظر، البغدادي ياقوت الحموي شهاب الدين – **معجم البلدان**– لبنان– بيروت– دار صادر– د.ط– 1397هـ/1977م–ج:2– ص:395–396.)

[2] بلاد واسعة أوّل حدودها مما يلي العراق وآخر حدوودها مما يلي الهند، تشمل على أمهات من البلدان مما يلي نيسابور ومرو وغيرها(ينظر، المرجع نفسه– ج:2– ص:350.)

[3] بفتح أوّله وثانيه، قرية جامعة من نواحي خوارزم إليها ينسب صاحب الكشاف (ينظر، البغدادي ياقوت الحموي– **معجم البلدان**– ج:3– ص147).

[4] سميت مكة لأنها تملّ الجبارين أي تذهب نخوتهم، وكذا سميت مكة لإزدحام الناس بها. (ينظر،المرجع نفسه ج:5– ص:181)

[5] الحنبلي شهاب الدين أبي الفلاح أحمد بن محمد –(ت1089هـ)– **شذرات الذهب**– ت:عبد القادر الأرناؤوط وآخرون– دمشق– سورية– دار ابن كثير– ط.1– 1406هـ/1986– ج.6– ص:194–196.

[6] الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر– **ديوان جار الله الزمخشري**– لبنان– بيروت– دار صادر– ط.1– 1429هـ/2008م– شرح فاطمة يوسف الخيمي– ص:341.

[7] ينظر، السمعاني عبد الكريم محمد بن منصور (562هـ–1166م)– **الأنساب**– ت: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليمني– مصر– القاهرة– مكتبة ابن تيمية– ط.2– 1400هـ – ج:6– ص:297–298.

وممّا يلاحظ أنّ البيئة التي عاشها ورغبة الوالد كان لها الأثر في نبوغه فكل ذلك إذا وافق همّة عالية من المرء صنع منه عالما وإماما.

2-رحلته في طلب العلم

جاب الإمام الزمخشري الأقطار طلبا للعلم وسعيا وراء المعرفة، وتنقل ما بين بغداد[1] ونيسابور[2] حتى قال عن نفسه: "وطئت كل تربة في أرض العرب".[3]

وحيثما حلّ وارتحل كان محلّ احترام مشايخه وتقديرهم له ومساندتهم إياه، ومن أبرز أساتذته الذين ساهموا في تكوينه وتعليمه ودفع حاجاته أبو مضر الضبي.[4]

وقد أثنى في بعض أشعاره على شيخه هذا فبيّن فضله عليه حيث كان يدفع حاجاته ويكفيه همه فقال: وَلَوْ لَمْ يَلِي الضَّبْيُ عَنّيِّ عِرَاكَهَا لَقَالَتْ يَدُ البَلْوَى أَدِيمِي بِعَرْكِهَا.[5]

ولما مات رثاه بأبيات يبيّن فيها فضله عليه وإفادته العلم منه فقال:

وَقَائِـــلَةٍ مَا هَـذِهِ الـــدُّرَرُ الّتِي تُسَاقِطُهَا عَيْنَـاكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ

فَقُلْتُ هِيَ الدُّرَرُ اللَّوَاتِي حَشَا بِهَا أَبُو مُضَرٍ أُذْنِي تَسَاقَطُ مِنْ عَيْنِي[6]

والدرر التي يقصدها الزمخشري في هذين البيتين ، هي العلوم والمعارف التي سمعها من شيخه واستفاد منها، فلما مات شيخه بكاه حبا وعرفانا.

---

[1] كلمة بغداد ليست عربية ولدى أختلف في معناها، فقيل يقصد بها مدينة السلام وغير ذلك، والمدينة لها مكانتها في التاريخ العربي، وهي مركز الحضارة خلال فترة طويلة من حكم العباسيين، وكانت ملتقى الأدباء والعلماء والشعراء...(ينظر، ياقوت الحموي- **معجم البلدان**- ج:1- ص:456-457.)

[2] العامة يسمونه نشاوور، وهي مدينة عظيمة لأنها معدن الفضلاء ومنبع العلماء، تعتبر الإقليم الخامس، وقيل فتحت أيام عمر ابن الخطاب.(ينظر، المرجع نفسه- ج:5- ص: 331.)

[3] الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر- **أساس البلاغة**- ت: محمد باسل عيون السود- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط1- 1419هـ/1998م- مادة ترب- ج:1- ص 92.

[4] هو محمود أبو مضر بن جرير الضبي الأصفهاني(ت507هـ) هو مدخل مذهب الإعتزال إلى خوارزم، أخذ عليه الزمخشري النحو والأدب.(ينظر، السمعاني- **الأنساب**- ج:8- ص: 144.)

[5] ينظر،مصطفى الصاوي الجويني- **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه**- مصر- القاهرة- دار المعارف- ط.2- د.ت- ص:31

[6] الزمخشري- **ديوان الزمخشري**- ص: 558.

3-مكانته العلمية:

يعتبر الزمخشري شخصية بارزة في عالم الفصاحة والبلاغة والنحو، ولقد عظم صيته وطار ذكره حتى صار سيّد عصره.

قال عنه ابن خلكان (ت681هـ): "هو الإمام الكبير في التّفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير مدافع تُشدّ إليه الرّحال في فنونه".[1]

وعزف عن كل ما من شأنه أن يعيقه سواء كان زوجة أو ولدا، فقد انصرفت همّته إلى طلب العلم وتعليمه، واغتنت نفسه به ووجد لذّته في تحصيله وقد أشار إلى ذلك فقال:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لِي مِنْ وَصْلِ غَانِيَةٍ وَطِيبِ عِنَاقِ

وَتَمَايُلِي طَرَبًا لِحَلِّ عَوِيصَةٍ أَشْهَى وَأَحْلَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ[2]

وبيّن أنه وهب نفسه للعلم فالتلاميذ والتّصانيف خير عنده من النسل فقال:

وَحَسْبِي تَصَانِيفِي وَحَسْبِي رُوَاتُهَا بَنِينَ بِهِمْ سِقَيتْ إِلَيَّ مَطَالِبِي

فَإِنِّــي مِنْهُــم آمنٌ وعَلَيْهِــمْ وأَعْقَابُهُمْ أَرْجُوهُمْ لِلْعَوَاقِبِ[3]

وتكلم العلماء عن تفرّغه للعلم والتعليم فقال السمعاني:"ظهر له جماعة من الأصحاب والتلامذة منهم أبو المحاسن إسماعيل بن عبد الله الطويلي بطرستان، وأبو المحاسن عبد الرحيم بن عبد الله الزاز، وأبو عمرو عامر بن حسن السمسار بزمخشر وغيرهم كثير".[4]

وقال عنه السيوطي(ت911هـ): "علامة الأدب نسابة العرب، تضرب إليه أكباد الإبل وتحط بفنائه رحال الرجال وتحدى باسمه مطايا الآمال".[5]

---

[1] ابن خلكان شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ)- **وفيات الأعيان**- ت:إحسان عباس- لبنان- بيروت- دار صادر- د.ط-د.ت-ج:5-ص:168.

[2] ينظر- محمد حسين أبو موسى- **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، مصر، القاهرة- دار الفكر العربي- د.ط- د.ت- ص 27-28/ الزمخشري- **ديوان الزمخشري**- ص:437.

[3] الزمخشري- **ديوان الزمخشري**- ص:437.

[4] السمعاني، **الأنساب**- ج:6- ص: 298.

[5]) المرجع نفسه- ج:6- ص: 298.

أمّا بالنسبة لمذهبه واعتقاده فقد عُرف أنّ الزمخشري حنفي المذهب محبّا للشافعي، و اتخذ الاعتزال معتقدا له أظهر ذلك، حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحبا له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الإذن: "قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب".[1]

4-وفاته وأبرز ما خلف من مؤلفات

لابد لكل نجم من أفول، ولكن هذا النجم ترك بصمته في الحياة خلّدته ولو بعد وفاته.

فقد توفي الزمخشري ليلة عرفة سنة 538هـ (ثمان وثلاثين وخمس مائة من الهجرة) بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة.[2]

وقد ذكر المترجمون لحياة الزمخشري أنّ له نحو خمسين مؤلفا في فنون الأدب واللغة والترجمة والحديث والفقه منها ما يلي:

الكشاف في تفسير القرآن لم يصنّف قبله مثله، و"الفائق" في تفسير الحديث، و"أساس البلاغة" في اللغة، و"ربيع الأبرار وقصوص الأخبار"، و"النصائح الكبار" و"النصائح الصغار" و"المفصل" في النحو، و"رؤوس المسائل"في الفقه، والمنهاج" في أصول الفقه، و"الكشف في القراءات"، و"صميم العربية" و"ديوان التمثيل في الأمثال" في أمثال العرب، و"شافي العي في كلام الشافعي" و"القسطاس" في العروض. وغير هذا كثير، وقيل أنّ آخر تآليفه كتابه (مقدمة الأدب) ألّفه لتعليم الفرس اللسان العربي وقد أهداه إلى الأمير.[3]

وللإمام كتب أخرى لكن يبقى الكشاف أبرزها، فقد اعتنى بشرحه والرد عليه خلق كثير، وليس عجبا أن ينال هذا التفسير تلك المنزلة العلمية ومؤلّفه بحر في اللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان، فقد أودع فيه الإمام خلاصة علمه ولبّ معارفه.

ثانيا- التعريف بتفسير الكشاف:

أشرت سلفا أن الكشاف كان من أبرز مؤلّفات الزمخشري، وأنّه نال حضوة بين أهل العلم ولذا سيكون في هذا المبحث تسليط الضوء على المحاور الآتية:

---

[1] الحنبلي شهاب الدين - **شذرات الذهب في أخبار من ذهب-** ج6- ص 196.

[2] إبن خلكان- **وفيات الأعيان -** ج:5- ص:173.

[3] الحنبلي شهاب الدين أبو الفلاح- **شذرات الذهب**- ج:6- ص: 195، وطاش كبري زاده أحمد بن مصطفى- **مفتاح السعادة ومصباح الزيادة في موضوعات العلوم**- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط.1- 1985/1405م- ج:2- ص:87.

1-تاريخ وظروف تأليف تفسير الكشاف:

لقد تردّد الإمام الزمخشري بين الإقدام على تفسير القرآن والإحجام عنه أولا، ثم عزم على تأليفه حتى أخرجه للناس كتابا جامعا نافعا.

وقد ورد في مقدمة كتابه الكشاف ما يدل على ذلك، وكشف عن السبب الذي حمله على تأليف تفسيره هذا فقال:"ولقد رأيت إخواننا في الدّين من أفاضل الفئة النجيّة العدليّة الجامعين بين علم العربيّة والأصول الدينيّة، كلما رجعوا إلى تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجّب، واستطيروا شوقا إلى مصنّف يضم أطرافا من ذلك، حتى اجتمعوا إليّ مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل".[1]

وقد تبين من العنوان الذي ذكره الإمام الزمخشري أنهم أرادوا تفسيرا متضمن للوجوه المعنوية المحتملة لمعاني النص القرآني، ويظهر من كلامه أنه في البداية قد أشفق من ضخامة محاولة التأليف في التفسير القرآني، ولكن سرعان ما تحفّز ونشط لذلك من كثرة إلحاحهم عليه وطلب أمير مكة ذلك منه، فبدأ تأليفه 256هـ، وفرغ من تأليفه صحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر في عام ثمان وعشرين وخمسة مئة.[2]

ويحدثنا الزمخشري في مقدمة تفسير الكشاف أنه قد لبث أعواما ثلاثة يألف كتابه هذا وكان ذلك مشغلته مدة جواره الثاني بمكة المكرمة فقال:"ووفق الله وسدّد ففرغ منه بمقدار خلافة أبي بكر رضي الله عنه وكان يقدّر في أكثر من ثلاثين سنة، وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم، وبركة أفضيت من بركات هذا الحرم المعظم"[3]

هذا من فضل الله ومِنَنه أن يُيسّر خروج كتاب بتلك الثروة البلاغية التي تبرز فيها وجوه من الإعجاز البلاغي في كتاب الله في مدّة كهذه.

---

[1] الزمخشري- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**- ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون- المملكة العربية السعودية- الرياض- مكتبة العبيكان- ط.1- 1418هـ/1998م- ج:1- ص:97.

[2] ينظر، حاجي خليفة عبد الله- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** – ت: محمد شرف الدين وآخرون- لبنان –بيروت- دار إحياء التراث العربي- د.ط- د.ت-ج:2- ص 1475.

[3] الزمخشري- **الكشاف**- ج:1- ص:98.

2-قيمة الكشاف العلمية وقول العلماء فيه :

كان الزمخشري موهوبا حصيفا وقد ازداد أسلوبه العالي من قيمة تفسيره، فقيمة هذا التفسير-بصرف النظر عما فيه من اعتزال- تفسير لم يسبق مؤلّفه إليه لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته، وليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف ذلك إذ برع في معرفة الكثير من العلوم لاسيما الإلمام بلغة العرب بل وقد جمع كل الوسائل التي لابدّ منها للمفسّر فأخرج لنا هذا الكتاب العظيم.[1]

وذكر صاحب كشف الظنون أن الزمخشري لمّا علم أن كتابه قد تحلّى بهذه الأوصاف قال متحدثا بنعمة الله:

إِنّ التَّفَاسِيرَ فِي الدُّنــيا بِلاَ عَدَدٍ وَلَيْسَ فِيهَا لَعَمْــرِي مِثْلُ كَشَّافِي

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الهُدَى فَالْزَمْ قِرَاءَتَهُ فَالجَهْلُ كَالدَّاءِ وَالكَشَّافُ كَالشَّافِي[2]

وإذا كان الزمخشري قد اعتزّ بكشّافه وبلغ إعجابه به إلى حد جعله يقول فيه ما قال من تقريظ له وإطراء عليه، فقد اعترف له غيره بالبراعة وعدّوا الكتاب واحد في بابه وعلما شامخا في نظر علماء التفسير وطلاّبه، وإن أخذوا عليه المآخذ التي يرجع أغلبها إلى ما فيه من ناحية الاعتزال ومن بين الآراء ما يأتي:

في مقدمة تفسير أبي حيان نجده يتحدث عن الزمخشري ومفسّر أخر فيقول: "كتاباهما في التّفسير قد أغارا وأشرقا في سماء هذا العلم بدرين وأنارا، وتنزّلا من الكتب التّفسيريّة منزلة الإنسان من العين...، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص هذا مع ما في كتابه من نصرة مذهبه، وتقحّم مرتكبه وتجشّم حمل كتاب الله عز وجل عليه ونسبة ذلك إليه، فمغتفر إساءته لإحسانه ومصفوح عن سقطه في بعض لإصابته في أكثر تبيانه... "[3]

---

[1] ينظر، محمد حسين الذهبي- **التفسير والمفسرون** - مصر-القاهرة- مكتبة وهبة- د.ط-د.ت-ج:1- ص: 307.

[2] ينظر، حاجي خليفة- **كشف الظنون**-ج:2 – ص: 1476،والزمخشري- **ديوان الزمخشري**- ص:396-397.

[3] أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت 845 هـ) - **تفسير البحر المحيط**- ت :الأستاذ عادل احمد عبد الموجود وآخرون- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية –ج:1- ص:113-114.

ويتكلّم العلاّمة ابن خلدون(ت808هـ) عن جانب من تفسير الزمخشري وهو ما يرجع إلى اللّسان من معرفة اللغة والإعراب، والبلاغة في تأدية المعنى يقول:" ومن أحسن من اشتمل عليه هذا الفنّ من التفاسير كتاب الكشّاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق إلا أن مؤلّفه من أهل الاعتزال".[1]

فكتاب الكشّاف كما يرى كثير من العلماء أحدث أثرا لدى المفسرين، حتى من أهل السنّة حيث استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة كانوا لا يلتفتون إليها لولاه حيث اعتمدوا ما نبّه عليه من نكات بلاغية.[2]

3-بعض الشروحات والحواشي للكشاف:

إن المكانة التي حاز عليها تفسير الكشاف جعلته محلّ اهتمام العلماء بين مختصر ومحش وجامع بينه وبين غيره ومن مخرّج لأحاديثه فأسند وصحّح وانتقد، ومن هذه الكتب ما يأتي:

- حاشية العلامة شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي (ت743هـ)، وهي من أهمّ الحواشي على تفسير الكشاف، تقع في ست مجلّدات كبار قال: "رأيت رسول الله ﷺ قبيل الشروع أنه نولني قدحا من اللبن وأشار إلي فأصبت منه ثم ناولته ﷺ فأصاب منه" وقد سمّاها فتوح الغيب في الكشف عن قاع الرّيب".[3]
- حاشية العلامة قطب الدين الشيرازي (ت710هـ) وذاك في مجلدين لطيفين.[4]
- شرح العلامة قطب الدين الرازي (ت766هـ)[5].

-كما اختصر جمال الدين عبد الله ابن المنير(ت862هـ) كتاب الكشاف بمصنّف سماه الانتصاف من الكشاف"، وحذف منه ما وقعت الإطالة به من نقل لكلام الزمخشري على وجهه من غير كلام عليه إعجابا به واستحسانا له، واقتصر جمال الدين على العقيدة الصحيحة.[6]

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون (808 هـ/1406م) - **المقدمة** - ت: الأستاذ خليل شحاذة وآخرون- لبنان- بيروت- دار الفكر- ص 762.

[2] -ينظر،محمد حسين الذهبي- **التفسير والمفسرون** -ج:1- ص:313.

[3] حاجي خليفة- **كشف الظنون**-ج:2- ص: 1478.

[4] المرجع نفسه.

[5] حاجي خليفة- **كشف الظنون**-ج:2 – ص:1478.

[6] مصطفى الصاوي الجويني - **منهج الزمخشري في تفسير القرآن** – ص:273.

- شرح كذلك خطبة تفسير الكشاف مجد الدين الفيروز أبادي (ت817 هـ) وسمّاه "قطبة الخشّاف لحل خطبة الكشّاف" ثم كتب ثانية وسماه "نغبة الرشّاف من خطبة الكشّاف".[1]

-بالإضافة إلى تفسير الأصبهاني المشهور (ت749هـ) من أربع مجلدات جمع فيه بين الكشاف ومفاتيح الغيب للرازي.[2]

وغير هذه الكتب كثير لمن أراد أن يرجع إليها في كتاب كشف الظنون، وهذه الكثرة من الشروح والاختصارات وغيرها تدل على حظوة الكشّاف بالتقدير والإعجاب حتى من خصومه وظفره بهذه الشهرة الواسعة التي أغرت العلماء بالكتابة عليه.

3-الميزة البلاغية في تفسير الكشاف.

لا يزال كتاب الزمخشري إلى اليوم التفسير الوحيد الذي يعرض لبلاغة القرآن على نطاق واسع كما لا يزال مستقى المفسر إذ يفسر.

وهذا الذي أكده الفاضل بن عاشور في كتابه حيث رأى أن تفسير الكشاف فتح -بابا كان مغلقا- على بيان الوجه البلاغي المعجز في تراكيب القرآن فقال:"...فانفتح في هذا الموضع الجليل باب كان مغلقا في أوجه متعاطي التفسير، وهو بيان الوجه البلاغي المعجز في كل تركيب قرآني وجعل ذلك الوجه ملاك المعنى المستفاد من التركيب...".[3]

والمتصفح لكتاب الكشاف يقف على ما أورده الزمخشري عند تفسيره لكثير من الآيات من حروف الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية الأخرى، فيرى أن الإمام كان حريصا كل الحرص على أن يبرز في حلة بديعة جمال أسلوب القرآن وكمال نظمه.[4]

وقد صرّح الزمخشري بضرورة الإلمام بعلمي المعاني والبيان قبل كل شيء لمن يريد أن يفسّر القرآن في مقدمة تفسير فقال: "...إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدقّ سلكها، علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل

[1] - مصطفى الصاوي الجويني - **منهج الزمخشري في تفسير القرآن** ص:274.

[2] المرجع نفسه- ص:277

[3] محمد الفاضل بن عاشور-**التفسير ورجاله**- سلسلة البحوث الإسلامية - تقديم: سامي محمد متولي الشعراوي الأمين العام لمجمع البحوث- ط.2-1417هـ-/1997م- ص:63.

[4] ينظر، محمد سيف الذهبي- **التفسير والمفسرون** -ج:1- ص:313.

ذي علم...إلا رجل قد برع في علمين مختصّين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهّل في ارتيادهما آونة، وتعب في التّنقير عنهما أزمنة...".[1]

وتظهر هذه الروح البلاغية في تفسير الزمخشري من أول الأمر، عندما تكلم عن قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2]، فبعد أن ذكر كل الاحتمالات التي تجوز في محل هذه الجملة من الإعراب، نبّه على أن الواجب على مفسّر كلام الله تعالى أن يلتفت للمعاني ويحافظ عليها، ويجعل الألفاظ تبعا لها، فقال ما نصّه:"والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا وأن يقال: إن قوله ﴿الٓمٓ﴾[3]جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ جملة ثانية و﴿لَا رَيْبَ﴾ جملة ثالثة و﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متّحدة بالأولى مُعتنقة لها وهلمّ جرّا إلى الثالثة والرّابعة".[4]

هذه ميزة تفسير الكشاف التي جعلته بالفعل ثروة لغوية وبلاغية يستعين بها كل من يفسّر بعده.

[1] الزمخشري - **الكشاف** – ج:1- ص:96.

[2] سورة البقرة، 2 .

[3] سورة البقرة،1 .

[4] الزمخشري- **الكشاف**- ج:1- ص:149.

الفصل الأول

القراءات عند الزمخشري وأنواع توجيهها

المبحث الأول: التعريف بالقراءات وتوجيهها.

المبحث الثاني: القراءات في الكشاف وموقف الزمخشري منها.

المبحث الأول

التعريف بالقراءات وتوجيهها

أولا: القراءات وآثارها في التفسير.

ثانيا: توجيه القراءات ودواعي تأليف فيه

ثالثا: نشأة علم التوجيه

رابعا: أنواع التوجيه

إنّ الإمام الزمخشري كغيره من المفسرين لا يستطيع أن يحيد عن القراءات ما دامت لها علاقة بتنّوع المعاني وثرائها، ولذا جعل لها قسطا وافرا من صفحات تفسيره يحلّل ويوجّه ويبرز روعة النظم القرآني وإعجازه، وقد خصّصت هذا الفصل الأول لبيان معنى القراءات وأثرها في التفسير، وكذا الحديث عن علم توجيه القراءات وأنواعه وكيف تعامل صاحب الكشاف مع القراءات وكيف وظّفها بل وكيف كان موقفه منها؟

أولا– القراءات وآثارها في التفسير

أردت في بداية هذا المبحث أن أتحدث بإيجاز عن القراءات، وكيف يؤثر اختلافها في تعدد المعنى التفسيري– فالسّلف رضوان الله عليهم وأرضاهم قد أخذوا على عاتقهم بيان أثر القراءات في التّفسير واهتمّوا به اهتماما يعلمه النّاظر في كتب التّفسير– ما دمت في بحثي المتواضع سأتناول تفسيرا من التّفاسير التي اهتمّت بالقراءات.

1–تعريف القراءات:

أ– لغة:

وردت تعاريف عدّة تبيّن معنى كلمة قراءات سأذكر منها التعريفين التّاليين:

القراءات من فعل "قرأ"، وقرأ الشيء أيّ جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، فيقال ما قرأت الناقة سلا قط أيّ لم تظم رحمها على ولد، وهناك قول آخر لم تقرأ جنينا أيّ لم تلقه، ومنه معنى قولهم: "قرأت القرآن أيّ لفظت به مجموعا".[1]

وقال صاحب مقاييس اللغة: "ق ر أ" تدور في لسان العرب حول الجمع والاجتماع.[2]

نلحظ أنّ هاذين التّعريفين دارا حول معنى الضمّ والاجتماع

ب– اصطلاحا:

عرّف ابن الجزري (ت 833هـ) القراءات بقوله: "القراءات علم لكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة".[3]

---

[1] الزبيدي السيد محمد مرتضى– **تاج العروس من جواهر القاموس–** الكويت– مكتبة التراث العربي– ط.2– 1407هـ/1987م– مادة قرأ– ج:1– ص:370.

[2] ابن فارس أبي الحسن أحمد بن زكريا (ت 395)– **معجم مقاييس اللغة**– ت:عبد السلام محمد هارون– مصر– القاهرة– دار الفكر– د.ط– د.ت– مادة قَرَى– ج:5– ص:78.

[3] ابن الجزري الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي(ت 833)– **منجد المقرئين**– اعتنى به علي بن محمد العمران– د.ط– د.ت– ص:49.

أمّا الشيخ عبد الفتاح القاضي (ت1403هـ) فقد عرّف القراءات بقوله: "علم بكيفيّات أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها من تخفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف بعزو الناقلة".[1] ويتّضح من التعريفين وغيرهما أنّ علم القراءات يهتمّ بكلمات القرآن منسوبة للقاري ولعلّ تعريف العلاّمة ابن الجزري لهذا العلم كان جامعا للتّعاريف جلّها حيث ركّز على قضية السماع والمشافهة. كما أنّ تعريف الشيخ عبد الفتّاح القاضي من علماء العصر الحديث جاء جامعا مانعا.

2-أثر القراءات في التّفسير:

إن للقراءات أثرا بارزا في تنوع المعنى التفسيري، فمنها ما أزال إشكالا ومنها ما بيّن معنى أو وسّعه، وسأوضح فيما يلي بعضا من ذلك.

أ- قراءات بيّنت معنى الآية:

هناك آيات بيّنت معنى الآية وأوضحته ففي قوله سبحانه: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[2]، تنوّعت القراءات في قوله: "وما يخدعون" فقرأ حفص عن عاصم ونافع وابن كثير وأبو عمرو بضمّ الياء وألف بعد الخاء وكسر الدّال "يُخَادِعُونَ"، وقرأ باقي العشرة بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدّال من غير ألف "يَخْدَعُونَ".[3]

وقد ذكر صاحب الكشف أنّ: القراءتين بمعنى واحد، فمن قرأ بغير ألف لأنّ أهل اللغة حكوا خادع وخدع، والمفاعلة قد تكون بمعنى واحد كقولهم داويت العليل، ثم إن (فعل) أخصّ بالواحد من (فاعل)، إذ (فاعل) أكثر ما يكون من اثنين، ومن قرأ بالثانية لأنّ الأولى جاءت يخادعون، فالأحسن المطابقة والمشاكلة بين الكلمتين أن تكونا بلفظ واحد، ومعناه "وما يخادعون بتلك المخادعة المذكورة أولا".[4]

ويظهر من توجيه القراءتين أنّ قراءة "يَخْدَعُونَ" تصف حالهم العادي في خداعهم المعتاد، وقراءة "يُخَادِعُونَ" تصف حالهم أثناء مبالغتهم في الخداع.[5]

---

[1] عبد الفتّاح القاضي- **البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة-** مصر- القاهرة- دار السلام- ط.5- 1432هـ/2011م- ج:1- ص: 11.

[2] سورة البقرة، 09

[3] ينظر، عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات -** مصر- القاهرة- دار سعد الدين- ط.2-1430هـ/2009م- ج:1- ص:41.

[4] مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها-** ت: الدكتور محي الدين رمضان- مجمع اللغة العربية- د.ط- 1394هـ/1974م- ج:1- ص:224-225.

[5] ينظر، عبد الرحمن حبنكة الميداني- **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ-** لبنان- بيروت- دار القلم- ط.4- 1430هـ/2009م- ص:725.

ب- قراءات وسّعت معنى الآية:

هناك قراءات توسّع المعنى وتفيد الآية بها أكثر من معنى نذكر منها على سبيل المثال:

قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾[1]. ففي هذه الآية تنوّعت القراءات في قوله "إثم كبير" كما يأتي:

حمزة والكسائي قرآها بالثاء المثلة "إثم كثير" ووافقهما الأعمش، وقرأ باقي العشرة "إثم كبير".[2]

وقراءتهما من (الكثرة) ذلك أنّ الخمر تحدث مع شربها آثام كثيرة من هذيان وقذف، وتضييع للفرائض ، فكل هذه المساوئ وصفت بالكثرة.[3]

وقد قال صاحب البحر المحيط: "ووصف الإثم بالكثرة باعتبار الآثام أيّ فيه للناس آثام، أو باعتبار ما يترتّب على شربها ممّا يصدر عن شاربها من الأقوال والأفعال المحرّمة...".[4]

وأمّا قراءة "إثم كبير" من الكبر على معنى العظم أيّ فيهما إثم عظيم، قال صاحب الكشف: "أجمعوا على أنّ شرب الخمر من الكبائر فوجب أن يوصف إثمه بالكبر" وعضدوا ذلك بقراءة: "وإثمهما أكبر من نفعهما" بالباء من العظم.[5]

فلنتأمل كيف أنّ تنوّع القراءات في الآية الأولى كان سببا في بيان المعنى ووضوحه أكثر، كما أنّ المعنى في الآية الثانية قد توسع بالقراءات، فحرمة الخمر بسبب كثرة عيوبها وآثامها وكبر خطرها، هذه بعض آثار القراءات في التّفسير وسنرى فيما يلي كيف استعانوا بكل هذا على توجيهها.

---

[1] سورة البقرة، 219 .

[2] ينظر، ابن الجزري- **النّشر-** ج:2- ص: 227، ومحمد فهد خاروف- **الميسّر في القراءات الأربع عشر**-لبنان- بيروت- دار الكلم الطيب- ط.5- 1430هـ/2009م- ص:34.

[3] ينظر، محمد بن عمر بن سالم بازمول- **القراءات وأثرها في التّفسير والأحكام**- أطروحة لنيل درجة الدكتوراه- إشراف عبد الستّار فتح الله سعيد- كلية الدعوة وأصول الدين بالمملكة العربية السعودية- جامعة أم القرى- قسم كتاب والسنة- 1412هـ/3114هـ- ص:396.

[4] أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت 745)- **تفسير البحر المحيط –** ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ج:2- ص:167.

[5] مكي بن أبي طالب- **الكشف**- ج:1- ص:291.

ثانيا – توجيه القراءات ودواعي التّأليف فيه:

1- تعريف التّوجيه:

أ-لغة:

إنّ التّوجيه في اللغة مأخوذ من الوجه المعروف والجمع وجوه، والوِجْهَةُ والوُجْهَةُ القبلة وشبهها، والمواجهة المقابلة كاستقبالك الرجل بكلام أو وجه، كما أنّ التّوجيه من الغرس تداني الحافرين والتوائهما، وفي قوافي الشعر التّأسيس.[1]

ولعلّ كلمة التّأسيس هنا يفهم منها أنّ كل توجيه يؤسس لمعنى جديد وهذا الذي يقترب من المعنى الاصطلاحي.

ب-اصطلاحا:

لهذا الفن عدّة تعريفات اصطلاحية تتقارب فيما بينها منها:

- أنه علم يقصد منه تبيين وجوه وعلل القراءات والإيضاح عنها والانتصار لها.[2]
- وقيل كذلك أنه "علم يعنى بالكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها وبيانها والإيضاح عنها.[3]

وأحسب أنّ هذين التّعريفين ضبطا هذا العلم بمصطلحات علمية دقيقة، وفيما يظهر لي هما الأقرب للصواب.

ويجب لفت النظر أنّه قد برزت أسماء كثيرة لهذا الفنّ، منها على سبيل المثال: (الاحتجاج)[4]، و(الانتصار للقراءات) [5].وكذا (معاني القراءات)[6] وغيرها.

هذه الأسماء كلها تقترب من المعنى الذي أشرنا إليه سابقا عند تعريف علم التّوجيه.

---

[1] ينظر،ابن منظورمحمد ابن مكر- **لسان العرب-** ت: عبد الله علي الكبير وآخرون- مصر- القاهرة- دار المعارف- د.ط- د.ت- مادة (وَجَهَ)- ج:6- ص: 4775-4778.

[2] المهدوي أبو العباس أحمد بن عمّار (ت 440هـ)- **شرح الهداية-** ت: حازم سعيد حيدر- السعودية- الرياض- مكتبة الرشد- د.ط- 1415هـ- ج:1- ص:18..

[3] أحمد سعد محمد- **التّوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**- مصر- القاهرة- مكتبة الآداب- د.ط- د.ت- ص:23.

[4] محمد بن عمر بن سالم بازمول- **القراءات وأثرها ف التّفسير والأحكام** – ج:1- ص:308.

[5] ينظر، المهدوي- **شرح الهداية-** ج:1- ص:18.

[6] ينظر،المرجع نفسه- ص: 19.

2- دواعي التّأليف في علم التّوجيه:

هناك دواع كثيرة دفعت القراء والنحاة للتّأليف في علم التّوجيه لعلّ أبرزها ما يلي:

- توضيح الأركان الثلاثة للقراءات الصحيحة، والدفاع عن القرآن الكريم وقراءاته ممّا قد يثيره الملحدون في آيات الله من شبهاتهم إلى مباحث الجدل والفلسفة وغيرها.[1]
- لجوء النحاة إلى النص القرآني، لأنهم لا يجدون نصا يعملون فيه أقلامهم كنص القرآن لعظمته وقدسيته واحتفال الناس به في عباداتهم وشرائعهم، ثم إنّ الشعراء والخطباء بعد الإسلام لجأوا إليه يأخذون من ألفاظه ومعانيه ولهم في ذلك فنون.[2]
- تعلّق علم التّوجيه الشديد بعلم التّفسير، ذلك أنّ فهم دلالات الألفاظ القرآنية يتوقّف على فهم توجيهها، إذ كل قراءة بمفردها بمنزلة آية، فزيادة القراءات كزيادة الآيات، وبذلك تفهم المعاني أكثر ومنها يؤخذ الشرع، وهذا الذي أشار إليه القرطبي في تفسيره حيث قال: "قال عمر وأبو بكر رضي الله عنهما لَبعضُ إعراب القرآن أحبّ إلينا من حفظ حروفه، فإعراب القرآن أصل في الشريعة لأنّ بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع.[3]

هذه بعض الدوافع التي دعت إلى التأليف في علم التوجيه للقراءات، وسنرى فيما يأتي مراحل نشأة هذا العلم.

ثالثا- نشأة علم التّوجيه:

إنّ نشأة علم التّوجيه والتّأليف فيه تدرّجت على مراحل بدءً من ظهوره على شكل ملاحظات أولية إلى بزوغه كعلم مستقلّ ويمكن تصنيف هذه المراحل إلى مرحلتين هامتين هما كالآتي:

1-المرحلة الأولى:

بروز هذا العلم كملاحظات أولية مبثوثة في بطون الكتب وفي أراء السلف وهي كما يلي:

---

[1] ينظر، المهدوي- **شرح الهداية** – ج:1- ص: 22-24.

[2] المرجع نفسه- ص: 24.

[3] ينظر، القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر- **الجامع لأحكام القرآن لما تضمّنه من السنة وآي القرآن**- ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون- مؤسسة الرسالة- ط.1- 1428هـ/2006م- لبنان- بيروت-ج:1- ص:42.

أ. أراء بعض الصحابة والتّابعين: فعن ابن عبّاس رضي الله عنهما (ت 68) أنه قرأ ننشرها بالراء من قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾[1] واحتجّ بقوله: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾.[2]

ب. كتب اللغة: في أوائل القرن الثاني الهجري ظهر علم العربية وتدوينها وكان اعتماد أهل العربية في علم اللغة على القرآن وقراءته، فهي المصدر لهم والمعين الصافي لقواعدهم ومسائلهم، فكان أول من خاض في توجيه القراءات هم أهل اللغة الذين تناولوه في كتبهم على شكل مسائل متفرّقة من كتب الإعراب أو معاني القرآن، ولم يكن هناك تحديد لأسماء القرّاء، وإنّما تذكر القراءة دون نسبة القارئ، كما لم تذكر كل القراءات بل كانت ترد عند الحاجة، ولهذا نجد الاتجاه اللغوي هو الغالب في توجيه القراءات والاحتجاج لها[3] ومن هذه الكتب ما يأتي:

- كتاب سيبويه إذ يعتبر المستند في هذا العلم لمن جاء بعده سواء كانوا قرّاء أو نحّاة[4].
- "معاني القرآن للفرّاء ومعاني القرآن للأخفش وغيرها"[5]. سمّيت كتب المعاني وقد ظهرت في مطلع القرن الثالث.

ج. كتب الإعراب: اعتنت هذه الكتب بالقراءات فاحتضنت في طيّاتها توجيها للقراءات منها على سبيل المثال: "مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه، وإعراب القرآن للنّحاس"[6].

د. كتب التّفاسير: كان لكتب التّفاسير الحظ الوافر من تناول القراءات وأوجهها، ذلك أنه على كل مفسّر معرفة القراءات، وبهذا كانت هذه الكتب مصدرا مهمّا للتّوجيه، ومن أول من تكلّم في توجيه القراءات من

---

[1] سورة البقرة، 259.

[2] سورة عبس، 22.

[3] خالد بن سعد المطرفي- **توجيه القراءات نشأته ومصادره –** بحث مقدّم لجامعة القصيم- قسم القرآن وعلومه- ص:3.

[4] المهدوي- **شرح الهدايه–** ج:1- ص:24.

[5] ينظر، المهدوي-**شرح الهدايه**- ص:24. / إبراهيم بن عبد الله الخضران الزهراني- **توجيه القراءات عند الفرّاء من خلال كتابه معاني القرآن–** بحث مقدّم لنيل درجة ماجيستار- إشراف محمد ولد سيدي الحبيب- السعودية- جامعة أم القرى-كلية الدعوى- قسم الكتاب والسنّة- 1427هـ- ص:12.

[6] ينظر، ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت 370هـ)- **إعراب القراءات السبع وعللها–** ت: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين- مصر- القاهرة- مكتبة الخانجي- ط.1- 1413هـ/1992م- ص:30.

المفسّرين هو الطبري في كتابه "جامع البيان"، ثم تتابع المفسّرون بعد ذلك منهم "الزمخشري (ت 538هـ)، في الكشاف، وأبو حيان (ت 745هـ) في البحر المحيط وغيرهم"[1].

2-المرحلة الثانية:

هي مرحلة التّصانيف في هذا العلم وهي الأهمّ لشدّة عنايتها بالتّوجيه وجمع شتات ما تفرّق في الكتب وفيها سار موجّهوا القراءات يذكرون القراءة بقرّائها قبل أن يشرعوا في توجيهها، وفي ذلك زيادة ضبط وحسن إتقان. ومن هذه المؤلفات ما يأتي:

أ. وجوه القراءات لهارون موسى الأعور: قيل كان أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألف فيها، وبين المتواتر وبحث عن إسناد الشاذ منها.[2]

ب. الجامع ليعقوب بن إسحاق الحضرمي: جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات ونسب كل حرف إلى ما قرأ به.[3]

ج. وجوه القراءات لابن قتيبة: ذكر فيه القراءات وبيّن وجوهها.[4]

د. الحجّة للقرّاء السبعة لأبي علي الفارسي: وكان لهذا الكتاب اختصارات عدّة منها "منتخب الحجّة لمكي بن أبي طالب، واختصار الحجّة وغيره".[5]

هـ. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني، وله عدّة اختصارات كذلك منها المنتخب في كتاب المحتسب.[6]

و. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب، فيه توجيه للقراءات وهو من عشرين جزءا.[7]

---

[1] خالد بن سعد المطرفي- **توجيه القراءات نشأته ومصادره-** ص:9.

[2] ابن الجزري شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد علي (ت 833هـ)- **غاية النهاية في طبقات القراء**- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط.1- 1427هـ/2006م-ج:2- ص:303.

[3] المهدوي- **شرح الهدايه-** ج:1- ص:28.

[4] المرجع نفسه- ج:1- ص:28.

[5] خالد بن سعد المطرفي- **توجيه القراءات نشأته ومصادره-** ص:7.

[6] المهدوي- **شرح الهدايه-** ج:1- ص:32.

[7] مكي بن أبي طالب حموش القيسي (ت 437هـ)- **الإبانة عن معني القراءات-** ت: عبد الفتاح إسماعيل شلبي- مصر- القاهرة- دار نهضة مصر للطبع والنشر-د.ط-د.ت- مقدمة المحقّق- ص: 10.

رابعا– أنواع التّوجيه

إنّ وجوه القراءات وعللها متنوّعة، فتارة تكون وجها نحويّا أو صرفيّا يتعلّق بوزن الكلمة واشتقاقها، أو لغويّا يبرز فيه علم الأصوات وتظهر في تعليلات لغات ولهجات العرب وأمثالهم وغيرها، ولهذا سأشير إلى بعض أنواع التّوجيه:

1–التّوجيه النّحوي:

يهتمّ بمواقع الكلمات وتغيّر وظيفتها داخل تراكيبها، وقد اهتمّ النحاة بالقراءات منذ نشأة النّحو، حتى كان من النحّاة من هم قرّاء ابتداءً، ولعلّ اهتمامهم بهذه القراءات وجّههُم إلى الدّراسة النحوية واللغوية ليلائموا بين ما سمعوا ورووا من القراءات، وبين ما سمعوا ورووا من كلام العرب.[1]

ويرى الشيخ الأفغاني في مقدمة تحقيقه لكتاب حجّة القراءات أنه على أهل النّحو أن يحتجّوا بالقراءات القرآنية على صحة النّحو لا العكس، فالقراءات مجال رحب للاستشهاد بها على القواعد النّحوية، بل على تأصيلها لأنّ سندها الرواية، فكانت بذلك مصدرا للاستشهاد يُثري اللغة.[2]

2–التّوجيه الصّرفي:

يعتبر علم الصّرف من علوم اللغة الضرورية للمفسّر، فهو يتعلّق بوزن الكلمات واشتقاقها وهذه لها تأثير في المعاني، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾[3] "ومن بدع التّفاسير أنّ الإمام جمع أم، وأنّ الناس يدعون يوم القيامة بأمّهاتهم"، لأنّ هذا جهل بالتّعريف فأم لا تجمع على إمام.[4]

---

[1] ينظر، تمام حسن– **الأصول**– مصر– القاهرة– عالم الكتب– د.ط– 1420هـ/2000م– ص:97–98. / محمد بن سعد بن عبد الله القربي– **الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التّحرير والتّنوير**– إشراف محمد ولد سيدي ولد الحبيب– المملكة العربية السعودية– جامعة أمّ القرى–كلية الدعوة وأصول الدين– قسم الكتاب والسنّة– 1427هـ– ص:125.

[2] ينظر، ابن زنجلة أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد– **حجّة القراءات**– ت: سعيد الأفغاني– لبنان– بيروت– مؤسسة الرسالة– ط:5– 1418هـ/1997م– ص:18–19 ، ومحمد بن سعيد بن عبد الله القربي– **الإمام الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات**– ص:129، نقلا من كتاب القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية– ص:109.

[3] سورة الإسراء، 71.

[4] ينظر، أحمد سعد محمد– **التّوجيه البلاغي**– ص:29، والزمخشري– **الكشاف**– ج:3– ص:500.

3-التّوجيه الصوتي:

إنّ المقصود بالتّوجيه لبعض القراءات أنها تتعلّق بطرق الأداء وقد جاءت على هذه السورة لإحداث الانسجام الصّوتي وهو علّة صوتيّة صرفه ليس للمعنى فيها مدخل، وهذا التّوجيه ظهر أكثر في الدّراسات اللّسانية الحديثة وأسلوبها في توجيه القراءة، وهو يختلف عن أسلوب الأقدمين.[1]

4-التّوجيه الفقهي:

هو اتّجاه يستعين بالقراءات على فقه الأحكام واستنباطها، كما يتوسّل بالتّغاير القرائي إلى القول بالتّخيير بين حكمين أو الجمع بينهما.[2]

وقد كان أئمّة الفقهاء يهتمّون بالقراءات اهتماما عظيما وذلك لكونهم يبحثون عن وجوهها للاستدلال بها على الأحكام الشرعية، وقد جمع بعضهم علمي الفقه والقراءات، وأتقن كلا العلمين، وقد شهد الإمام الشافعي للإمام مالك بمعرفة القراءة إذ يقول عن قراءة نافع "قراءة نافع سنة وحسبك برجل قرأ عليه مالك".[3]

5-التّوجيه البلاغي:

لمّا كان موضوع بحثي متعلّق بالتوجيه البلاغي وصوره الفنية في القرآن سأتوسّع قليلا في الحديث عن هذا النوع.

أ-معنى البلاغة وعلاقتها بالتفسير:

قد عرّف المتأخّرون البلاغة "بأنها التّعبير باللفظ الرائع على المعنى الصحيح بلا زيادة ولا نقصان"، فهي عندهم تأدية معنى جليل بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النّفس أثر خلاّب مع ملاءمة كلّ كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يُخاطبون.[4]

---

[1] أحمد سعد محمد- **التّوجيه البلاغي**- ص:29، وسحر محمد فهمي كردية - **منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره**- رسالة ماجستر- إشراف عبد الرحمن يوسف الجمل- الجامعة الإسلامية- غزّة-كلية أصول الدين- قسم التفسير وعلوم القرآن- 1422هـ/2001م- ص:118.

[2] المرجع السابق- ص:29.

[3] نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، **علم القراءات، نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشّرعية**، المملكة العربية السعودية- الرياض- مكتبة التوبة- ط.1- 1421هـ/2000م- ص:396.

[4] مصطفى أمين- علي الجارم- **البلاغة الواضحة**- بريطانيا- لندن- دار المعارف- د.ط- 1999- ص:8.

ويبيّن الإمام الزمخشري أنّ أهل هذا العلم هم الأقدر على استخراج كنوزه وفهم معانيه فقال: "الذين يعرفون أنواع المعاني وأجناسها هم الذين يستخرجون من النص مراميه ومعانيه، ويحدّدون مدلولاته لخبرتهم بالأساليب وخصائص صياغتها...، فعلماء البيان هم الذين يفهمون أساليب التّصوير والتّمثيل وتقع أعينهم على الزبدة والخلاصة".[1]

وهناك ارتباط بيّن ذو صلة وثيقة بين علمي الدلالة والتفسير وله علاقة بالبحث البلاغي لا تنكر من حيث مراعاة التّجاوب والتّناغم بين الألفاظ بخصائصها الدلاليّة والمقام الذي تَرِد فيه، فالمفسّر لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، ففي القرآن الكريم الكثير من الأمثلة على الاستعارة والكناية والمجاز والتي لابد في فهمها من معرفة علوم البلاغة وأسرار البيان، وحَملُ الإنسان االكلام على ظاهره في هذه المواضع يفسد المعنى فقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾[2] فالمراد بهما بياض الليل وسواد النهار وليس المراد بهما الخيوط المعروفة لدينا.[3]

ويروى في السنة أن أعرابيا لما سمع الآية جعل تحت الوسادة خيطان أسودان، وبدأ يأكل ويشرب وينظر تحت الوسادة حتى طلعت الشمس، فلما حكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "إنّك لعريض القفى إن أبصرت الخيطين، ثم قال لا بل هما سواد الليل وبياض النهار".[4]

ب–علاقة البلاغة بالقراءات:

من استقراء هذا الفن نجد أنّه لا غنى للبلاغي عن القراءات، فإنّ البحث فيها كفيل باستكشاف كنوز لا تبيد في كل ما يتعلّق بعلوم البلاغة الثلاثة: "المعاني والبيان والبديع"، كما أنّ القراءات تلتقي مع البلاغة في تحقيق أهمّ الأهداف التي تهدف إليها البلاغة، وهو إدراك روعة النّظم القرآني والوقوف على سراره.[5]

---

[1] الزمخشري– **الكشاف**– ج:1– ص:122.

[2] سورة البقرة، 187.

[3] سحر محمد فهمي كردية– **منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره**– ص:114–115.

[4] البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (256هـ)–**الجامع الصحيح**– ت:محب الدين الخطيب–مصر– القاهرة–المكتبة السلفية–كتاب التفسير– باب (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم)– رقم: 4510– ج:3– ص:198.

[5] محمد بن سعد بن عبد الله القرني– **الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات**– ص 163 نقلا من كتاب الإعجاز في القراءات– فتحي عبد القادر فريد– ص:63.

وجاء في قواعد التدبّر: "أنّ من أغراض اختلاف القراءات التّكامل في الأداء البياني، كأن يراعي في النص تارة توجيهه مرّة بأسلوب الحديث عن الغائب مثل: "وما الله بغافل عمّا يعملون" وتوجيهه مرّة أخرى بأسلوب الخطاب الوجاهي المباشر ومثال ذلك قول المولى سبحانه: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[1] وهذا كثير في القراءات".[2]

والتوجيه البلاغي قد وقف على كل أنواع التوجيه التي ذكرناها سابقا وذلك لإبراز المعنى وتجليته ومن الأمثلة على ذلك:

أن الاتجاه البلاغي أستغلّ فلسفة النحو ومعانيه، والإمكانات التعبيرية التي تتيحها ظاهرة الإعراب في العربية في توليد بعض الأوجه البلاغية المترتّبة على التّغاير الإعرابي في القراءات. فذهب الموجهون مثلا إلى أن رفع (الحمدُ) في آية الفاتحة يدل على اختصاص ذلك بحمد الحامد لابتناء الأول في التقدير النحوي على (الاسم)، وابتناء الآخر على (الفعل).[3]

ربط الاتجاه البلاغي في توجيه القراءات بين التغاير التصريفي فيها وتغاير مدلولاتها، فكان تصريف هذه المباني في القراءة تصريفا للمعاني التي يحتملها سياقها ومقامها، ففي اللّفظة المفردة مثلا قد أدرك مدى التّجاوب بينها وبين السياق والمقام في إنتاج الأغراض البلاغيّة التي تستند عليها، وسرّ إيثار صيغة على أخرى في مقام دون سواه، ويبرز هذا جليّا في تناول الموجهين لبلاغة الكلمة، من حيث تعريفها وتنكيرها وصور خروجها على مقتضى الظاهر، وتعاقب حروف المعاني وما يضيفه مدلولها الوضعي على تغاير المعاني.[4]

كما يبرز في التوجيه البلاغي إدراك أهل هذا الفنّ، أن مجيء الكلام على ظاهره والعدول عنه قد يستدعي كل منهما على حدة وجها بلاغيا يغاير الآخر أو يكمّله وتلك خاصيّة ينفرد بها النص القرآني بتغاير قراءاته.[5]

هذه لمحة وجيزة عن التوجيه البلاغي، ودوره في إبراز المعاني وتجلية تنوّعها ووفرتها، وسيكون لنا في الفصل الثاني بحول الله وقفة مع نماذج لهذا التوجيه صور.

---

[1] سورة البقرة،74 .

[2] ينظر، عبد الرحمن حبنكة الميداني- **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله–** سورية – دمشق- دار القلم- ط.4- 1430هـ/2009م- ص:722-723.

[3] أحمد سعد محمد- **التوجيه البلاغي للقراءات**- ص:514.

[4] **–** أحمد سعد محمد- **التوجيه البلاغي للقراءات**- ص:514.

[5] المرجع نفسه – ص:515.

المبحث الثاني

القراءات في الكشاف وموقف الزمخشري منها

أولا: مصادر الزمخشري في القراءات وتوجيهها.

ثانيا: موقف الزمخشري من القراءات.

ثالثا: توظيف الزمخشري للقراءات والتعامل معها.

رابعا: عزو الزمخشري للقراءات.

أولا– مصادر الزمخشري في القراءات وتوجيهها:

تبيّن عندنا في المدخل أنّ الزمخشري كان مجتهدا في تثقيف نفسه حتى عزف عن الزواج، ولم ينغلق على فكر معيّن بل كان يفتح قلبه وعقله لكل عمل جادّ، ولم تكن العصبية المذهبية التي كان يشتطّ فيها أحيانا حائلا بينه وبين ما يستحسن من العلماء وتقدير جهودهم لذلك، وبهذا قد تنوّعت مصادره في القراءات وتوجيهها وسأذكر بعضا منها.

1– القرآن الكريم ومصاحفه:

وجد الزمخشري أمامه في القراءات مصاحف قراء وأمصار مختلفة كان يستدل بها على القراءة ويعتمدها في التوجيه منها:

مصحف ابن مسعود، ومصاحف أهل الحجاز والشام ومصحف أبيّ[1]، فحين يفسّر قوله تعالى: ﴿وَمَآ يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[2] يرجح قراءة الفتح للهمزة ويفسّرها بمعنى لعلّها ويقول: "وتقوّيها قراءة أبي (لعلّها إذا جاءت لا يؤمنون)".[3]

ومن أمثلة توجيهه بآيات من القرآن، نجده يستدلّ في كثير من المواضع بآية أخرى للقراءة التي اختارها مثالها في توجيهه لقوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[4]

فقال"ملك"[5] هو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله سبحانه: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾.[6] ولقوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾[7] ولأنّ المُلك يَعُمُّ.[8]

---

[1] الجويني– **منهج الزمخشري في تفسير القرآن**– ص:90.

[2] سورة الأنعام، 109.

[3] الزمخشري– **الكشاف–** ج:2– ص:387.

[4] سورة الفاتحة، 04.

[5] قرأ القراء السبعة غير عاصم والكسائي "ملك" بغير ألف. (ينظر، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (377هـ)– **الحجة للقراء السبعة**–ت: عبد العزيز رباح وآخرون– سورية– دمشق– دار المأمون للتراث، ط.1– 1404هـ/1984م–ج:1– ص: 7–8).

[6] سورة غافر، 16.

[7] سورة الناس، 02.

[8] الزمخشري– **الكشاف–** ج:1– ص:115.

2-الحديث:

عند تفسير الزمخشري لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾.[1] قال: "قرئ بفتح الضاد وضمّها[2] وهما لغتان، والضمّ أقوى في القراءة، لما روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال قرأتها على رسول الله ﷺ "من ضَعْفٍ" فاقرأني "من ضُعْفٍ"[3]، فالإمام هنا قدّم قراءة الضمّ على الفتح ومصدره في ذلك حديث.[4]

3- رسم المصحف:

لما يفسّر الإمام قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[5] يوجّه القراءات في هذه الآية بقوله: "فإن قلت كيف خطّ في المصحف (علمؤا) بواو قبل الألف: قُلت خطّ على لغة من يميل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلواة، والزكواة، والربوا".[6]

4-كتب اللغة:

كانت اللغة والكتب التي تناولتها من معان ونحوٍ مصدرًا للزمخشري في توجيهه وتفسيره منها(كتاب سيبويه) الذي يستشهد به كثيرا بل يقدّسه، فحين يفسّر قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[7].

يبيّن القراءات وقد سبق ذكرها ثم يختار رأي الخليل في تفسير "أنّها" بمعنى لعلها وهو من قول العرب (إئت السوق أنك تشتري لحما).[8]

---

[1] سورة الروم، 54.

[2] قرأ أبو بكر وحفص بخلف عنه عن عاصم وحمزة بفتح الضاد، والباقون بالضمّ (ينظر، ابن خالوية، **الحجّة في القراءات السبع**، ص:179).

[3] الترمذي محمد بن عيسى الحافظ بن عيسى(279هـ)- **الجامع الكبير(سنن الترمذي)**-ت: بشار عواد معروف-لبنان- بيروت- دار الغرب الإسلامي- ط.2- 1998م - أبواب القراءات- باب (ومن سورة الروم)- رقم2953- ج:5- ص:53.

[4] الزمخشري- **الكشاف-** ج:4- ص:587.

[5] **سورة** الشعراء، 197.

[6] الزمخشري- **الكشاف-** ج:4- ص:416.

[7] سورة الأنعام، 109.

[8] ينظر، الزمخشري- **الكشاف-** ج:2- ص:385، و الجويني، **منهج الزمخشري في تفسير القرآن الكريم**- ص:91، و كواكب محمود حسن الزبيدي- **أثر معاني القرآن للأخفش الأوسط في الكشاف للزمخشري-** مذكرة لنيل درجة ماجيستار- إشراف الدكتور محمد صالح التكريتي- جامعة بغداد- كلية التربية- قسم اللغة العربية- 2004- ص:42.

1- ومن الكتب التي عدت مصدرا للإمام كتاب المحتسب لابن جني، والتبيان لأبي الفتح الهمداني وغيرها.[1]

5-الشعر:

منه تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[2]

فبيّن قراءة "كذِباً" نصبا على الحال بمعنى جاؤوا به كاذبين، ولكن اختار قراءة "كذِبٍ" أيّ ذي ذب أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال:" فهُنَّ بِهِ جُودٌ وأنتُمُ بِهِ بُخلُ".[3]

استشهد بشطر البيت الثاني يورده كاملا في مصدر آخر:

فَفِيهِنَّ فَضْلٌ قَدْ عَرَفْنَا مَكَانَهُ فَهُنَّ بِهِ جُودٌ وَأَنْتُمْ بِهِ بُخْلُ[4]

6-كتب التّفسير:

أفاد الزمخشري من كتب التّفاسير منها تفسير الزجّاج، وتفسير الرمّاني، وتفسير الحاكم وغيرها.

نجده قد نهل من تفسير الحاكم وجوه القراءات وبعض البحوث اللغوية والنحوية المتعلّقة بها، وقد اهتمّ العالم ببحوث محدّدة أقام عليها تفسيره، فأفرد لكل آية بحثا في القراءات يذكر فيه ما ورد في الآية منها بإيجاز مع الشرح المقتضب لبعض الوجوه[5].

ولو نظرنا إلى توجيه قوله تعالى: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[6] وعدنا إلى الكتب السابق ذكرها لوجدنا التّوجيه فيها متشابه وتبيّن لنا أنّ هذه الكتب للإمام مصادر.[7]

---

[1] الجويني- **منهج الزمخشري في تفسير القرآن الكريم-** ص:91.

[2] سورة يوسف، 18.

[3] الزمخشري- **الكشاف-** ج:3- ص:262.

[4] الزمخشري- **أساس البلاغة-** مادّة(جَوَدَ)- ج:1- ص:262.

[5] محمد حسنين أبو موسى - **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري -** ص:76، و الجويني- **منهج الزمخشري في تفسير القرآن -** ص:86.

[6] سبق الكلام عن هذه الآية وتوجيهها في الكشاف.

[7] ينظر، الجويني- **منهج الزمخشري في تفسير القرآن -** ص:87.

ثانيا– موقف الزمخشري من القراءات:

إنّ كل منصف متّبع درب الحق يعلم أنّ مصدر القراءات الصحيحة إنما هو الوحي وليس للاجتهاد والرأي مجال فيها، وكثيرا ما نقرأ عن الزمخشري أنّه طعن في بعض القراءات ورجّح بعضا منها على الآخر، ووصف أخرى بالحسن، فسنرى فيما يلي دوافعه في ذلك:

1– تعامل مع بعض القراءات بموقف النّحوي الذي يُحكّم قواعد اللّغة، ورأى أنّ بعض القرّاء وقعوا في اللحن لجهلهم بالنحو واللغة، وكان يردّ القراءة التي لا تتناغم مع المعنى الذي يتصوّره بتبريرات نحوية، وكل قراءة لا تخضع للقاعدة النحوية المضطردة عنده فهي مردودة[1].

فعند تفسيره لقول المولى سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ ﴾[2] اعترض على قراءة نافع برواية ورش لقوله: (أأنذرتهم) بإبداله الهمزة الثانية ألفا؟ وقال: " قلت هو لاحن خارج عن كلام العرب... "[3].

وقد تصدّى للزمخشري في هذا الطعن كثير، منهم صاحب غيث النفع لما قال: "هذه القراءة نفسها أقوى شاهد فهي قراءة صحيحة متواترة لا تحتاج إلى شاهد، ولقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين ..."[4].

وردّ عليه السمين الحلبي فقال: "وهذا منه ليس بصواب لثبوت هذه القراءة تواترا وللقرّاء في نحو هذه الآية عمل كثير وتفصيل منتشر".[5]

والمنصف يعلم أنّ كثير من المفسّرين واللغويين طعنوا في قراءات لأجل قاعدة نحوية لغوية. فلو أخذنا على سبيل المثال الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ

---

[1] ينظر، خالد سوماني– **تأويل القرآن عند المعتزلة من خلاف تفسير الكشّاف–** مذكرة لنيل درجة ماجيستار– إشراف الدكتور عمر بلخير– جامعة مولود معمري– تيزي وزو– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة والأدب العربي– 2011– ص:99، وأحمد البيلي– **الاختلاف في القراءات**– لبنان– بيروت– دار الجيل– ط.1– 1408هـ/1988م– ص:90.

[2] سورة البقرة، 06.

[3] الزمخشري– **الكشاف–** ج:1– ص: 163-164.

[4] الصفاقسي علي بن سالم بن محمد النوري (ت 1118هـ)– **غيث النّفع في القراءات السبع–** ص 341– ت: سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني– حقّقها كدراسة لأطروحة دكتوراه– شعبان بن محمد إسماعيل– السعودية– جامعة أم القرى– كلية الدعوة وأصول الدين– قسم الكتاب والسنّة– 1426هـ– ج:1– ص: 341.

[5] أحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت 756هـ)– **الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون–** ت: أحمد محمد الخرّاط– سورية– دمشق– دار القلم– د.ط، د.ت– ج:1– ص: 110.

أَوۡلَٰدِهِمۡ﴾[1] قال الزمخشري: "وأمّا قراءة ابن عامر برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج وردّ قولهم: "زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَه" ، فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته..."[2].

والطعن فيها سبق به الزمخشري من الطبري[3] وكذا ابن خالويه حيث قال: "ونَصَب أولادهم بوقوع القتل عليهم ،وحال بهم بين المضاف والمضاف إليه وهو قبيح في القرآن"[4] .

2- رجّح قراءات أخرى بسبب البلاغة في المعنى، منها قوله تعالى: ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[5]

فعندما فسّر الآية على قراءة الخطّاب بالتّاء، وقرئ[6] يؤثرون بالياء على الغيبة، ويعضّد الأولى قراءة ابن مسعود، وسبب ترجيحه لها هو الالتفات من الغيبة، إلى الخطاب[7].

3- ردّ بعض القراءات بسبب مذهبه الاعتزالي حيث يفاضل بين القراءات المتواترة ويرجّح بعضها على بعض دون أن يكون له معيار يضبطه، بل وقد يرجّح قراءة شاذّة[8] على قراءة متواترة[9]، فيجعل الآية التي

---

[1] سورة الأنعام، 137.

[2] الزمخشري- **الكشاف-** ج:2- ص:401.

[3] الطبري أبو جعفر محمد بن جرير(310هـ)- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن –** ت:محمود محمد شاكر-مصر-القاهرة-مكتبة ابن تيمية-د.ط-د.ت-ج:12- ص:137.

[4] ابن خالويه أبو عبد الله الحسين ابن أحمد (ت 370هـ)- **الحجّة في القراءات السبع**، ت: أحمد فريد المزيدي- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط.1- 1420هـ/1999م- ص:82.

[5] سورة الأعلى، 16.

[6] قرأ أبو عمرو وحده بالياء "يؤثرون"- وقرأ الباقون بالتاء "تؤثرون"- (ينظر، ابن مجاهد- **كتاب السبعة في القراءات–** ت: شوقي ضيف- مصر- القاهرة- دار المعارف- د.ط- 1972م- ص 280).

[7] الزمخشري- **الكشاف-** ج:6- ص: 360.

[8] القراءات الشاذّة ما لم تتوفّر فيها الشروط الثلاثة التي ذكرت في القراءات المتواترة، (ينظر: أحمد البيلي، **الاختلاف بين القراءات**- ص 109، وسيب خير الدين- **القراءات القرآنيّة** – ص: 70.)

[9] القراءة التي توفّرت فيها شروط ثلاث وهي: موافقة اللغة العربية، وصحّة الإسناد ولم يكتف كثير من العلماء بصحّته بل قالوا بوجوب التواتر، والموافقة في الرسم لأحد المصاحف العثمانية الستة، وقد بين ابن الجزري تلك الشوط بأبيات. (ينظر، ابن الجزري الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت 833هـ)- **طيبة النشر في القراءات العشر**- ضبطه وصحّحه محمد تميم الزعبي- السعودية- جدّة- دار الهدي-ط.1- 1414هـ/1994م- ص:32./ سيب خير الدين- **القراءات القرآنيّة نشأتها أقسامها وحجّيتها**- الجزائر- الجزائر- دار الخلدونية- د.ط- د.ت- ص:64-69.).

توافق مبادئ المعتزلة محُكمة والتي يخالف ظاهرها أصولهم يجعلها متشابهة.[1]

نضرب مثالا لذلك هو قوله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ ﴾[2] في قراءة (يخادعون) ينفي الإمام الصفات التي يلمح ظاهرها المشابهة لله، لأن المخادعة من المفاعلة التي يقتضي ظاهرها المشاركة والمشابهة.

وفرارا من القول بالتشبيه والتجسيم قال الزمخشري: " ... كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح، لأن العالِم الذي لا تخفى عليه خافيه لا يخدع، والمؤمنون وإن جاز أن يُخدعوا لم يجز أن يَخدعوا".[3]

ومهما كان سبب ردّ القراءة فإنّ خير ردّ هو ما ذكره ابن الجزري بقوله: " إنّ أئمّة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصحّ في النقل والرواية... لأنّ القراءة سنّة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها".[4]

ثالثا– توظيفه للقراءات والتّعامل معها:

بما أنّ علم القراءات يحتاجه كل من تعامل مع كتاب الله مُقرءًا كان أو مفسّرا أو فقيها أو نحويا، فإنّ كتاب الزمخشري كان من التّفاسير التي زخرت بالقراءات، وكان منهجه في توظيفها كما يلي:

1- أكثر القراءات التي أوردها في تفسيره ما تعلّقت باختلاف القراء في فرش القراءة لا في أصولها فهي تؤثر في المعنى حين تكون متعلّقة بالفرش، إذ يصبح تعدّد القراءات كتعدّد الآيات، لأنّ اختلاف القراءات في الآية الواحدة يُكثِر المعاني.[5]

2- تنوّع تفسير الكشّاف بين نسبة الأقوال والآراء والقراءات والتّوجيهات إلى أصحابها، مع ذلك طغت ألفاظ "قيل، قال، قالوا... وغيرها"، وعلى هذا الكثير من التّفسيرات والقراءات التي أوردها الإمام الزمخشري ولم يصرّح بذكر أسماء أصحابها.[6]

---

[1] ينظر، نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل– **علم القراءة نشأته أطواره أثره في العلوم الشرعية– المملكة العربية السعودية–** الرياض– ط.1– 1421هـ/2000م– ص: 335-337.

[2] سورة البقرة، 09.

[3] الزمخشري– **الكشاف**– ج:1– ص:172-173.

[4] إبن الجزري– **النشر** – ج:1– ص:10.

[5] ينظر، محمد محمود الدومي – **القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري–** إشراف الدكتور محمد علي حجازي جامعة اليرموك– التفسير وعلوم القرآن– إربد الأردن – 1425هـ/2004م– ص:141 / محمد الطاهر بن عاشور– **تفسير التّنوير والتّحرير–** تونس– تونس– الدار التونسية للنشر**– د.ط–** 1984م–ج:1– ص:55

[6] كواكب محمود حسين الزبيدي– **أثر معاني القرآن للأخفش في كشاف الزمخشري–** ص: 43.

وقال الإمام الجويني موضّحا ذلك "يظهر أنّ عادة الأقدمين في التّأليف كانت النقل عمّن يعجبون به دون إسناده لصاحبه، إمّا لشهرة القول عنه، أو لأنّ العلم ملك للجميع، يؤخذ منه ما يؤخذ ويترك ما يترك، ما دامت شخصية الناقل تسيطر على ما تنقل بعلمها ومعرفتها".[1]

وفي قوله يترك ما يترك قد يكون هذا في التّفسير والتّنقيب عن المعنى، أمّا في القراءة الثابتة التواتر فلا نملك الحق في تركها لأنّها صحيحة فهي سنّة واجبة الإتباع.

3- في كثير من المواضع التي نقلها عن غيره لم يقف موقف الناقل فحسب، بل كان يرجّح ويصحّح ويردّ ويخطئ وفي أخرى يكتفي بذكرها، مثالها في قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.[2]

كان تأثّره بكتاب معاني القرآن للأخفش كبيرا ونقل عنه في مواضع كثيرة مصرّحا أو غير مصرّح بذلك ولكن في توجيه إعراب هذه الآية خالفه فيها حيث قال الأخفش بالنصب لأنهم حين قال لهم: ﴿كُونُواْ هُودًا﴾[3] كأنه قيل لهم اتّخذوا هذه الملّة فقالوا لا: ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾[4] أيّ: نتّبع ملّة إبراهيم، ثم أبدل "الصبغة" (ملّة) فقال "صبغة الله" بالنّصب".[5]

فالزمخشري هنا خالف فقال: "أن صبغة الله مصدر مؤكّد منتصب على قوله: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾[6] كما انتصب ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾[7].... وقوله: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[8] عطف على "آمنا بالله"، وهذا العطف يردّ من زعم أنّ "صبغة الله" بدل من "ملّة إبراهيم" ... وانتصابها ثم هنا على أنها مصدر مؤكّد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام".[9]

---

[1] الجويني- **منهج الزمخشري في تفسير الكشّاف**- ص: 87.

[2] سورة البقرة، 138.

[3] سورة البقرة، 135.

[4] سورة البقرة، 135.

[5] كواكب محمود حسين الزبيدي- **أثر معاني القرآن للأخفش في كشاف الزمخشري**- ص 51- نقلا من كتاب **معاني القرآن للأخفش**.

[6] سورة البقرة، 136.

[7] سورة يونس، 04، والزمر، 20.

[8] سورة البقرة، 138.

[9] الزمخشري- **الكشاف**- ج:1- ص:335-336.

فلنتأمّل كيف نقد رأي الأخفش وخالفه في توجيه إعراب الآية مرجّحا رأيه بأنّ سيبويه ذهب إلى ذلك.

4- وممّا يلاحظ على الإمام الزمخشري كذلك أنه يعرض في أحايين كثيرة القراءات دون تفريق بين المتواتر منها والشاذّ.

فالشاذّ ليس بمنزلة المتواتر، حتى ولو كان يستفاد منه قضايا الإعراب واللغة وبيان المعنى أو ترجيح معنى على آخر، ولكن يبقى المتواتر هو المقدم في كل حال، مثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.[1]

فلمّا تكلّم عن الحجرة قال "وجمعها (الحُجُرات)، بضمّتين، و(الحُجَرات والحُجْرات) بتسكينها وقرئ بهنّ جميعا".[2]

فالزمخشري سوّى بين القراءات ولم يفرّق، وقد يتوهّم القارئ أنها جميعا في نفس الدرجة، ولكن بالرجوع إلى كتب القراءات نرى أنّ (الحُجَرات) بضمّ الحاء وفتح الجيم قرأ بها أبو جعفر، و(الحُجُرات) بضمّ الحاء والجيم قرأ بها باقي العشرة، أمّا(الحُجْرات) بإسكان الجيم فهي قراءة شاذّة قرأ بها ابن أبي عبلة وسعيد بن المسيب.[3]

رابعا– عزو الزمخشري للقراءات

تنوّع عزو القراءات في كتاب الكشّاف، إذ أنّ الزمخشري لم يلتزم بعزوها للقرّاء وحسب، فقد رأينا عند الحديث على منهجه في توظيف القراءات أنه أكثر من لفظه قُرئ دون ذكر لصاحب القراءة، وسنرى فيما يلي كيف تنوع عزوه تارة للنبي وأخرى للقرّاء أو للمصر.

1–عزو القراءة للنبيّ:

عندما يتصفح القارئ كتاب الكشاف يجد الزمخشري في تفسير بعض الآيات يقول هذه قراءة رسول الله،أو هذه قراءة النبيّ، مع أنّ كل القراءات الصحيحة المتواترة هي قراءة النبيّ، فهل المقصود هنا القراءات المتواترة فقط؟

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾[4] قال الإمام: "وفي قراءة رسول الله (باصقات) بإبدال السين صادًا لأجل القاف"[5].

---

[1] سورة الحجرات، 04.

[2] الزمخشري– **الكشاف–** ج:5– ص: 563.

[3] ينظر، عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات–** مصر– القاهرة– دار سعد الدين– ط.2–1430هـ/2009م– م:9– ص: 79.

[4] سورة ق، 10.

[5] الزمخشري–الكشاف– ج:5– ص:593.

وهذه القراءة قد صنّفها القرّاء في الشواذ، مع ذلك لم يوضح هذا ونسبها إلى رسول الله.[1]

2-عزو القراءة للقارئ أو أحد راوييه:

نعلم أنّ الزمخشري -رحمه الله- خرّج للمتواتر وللشاذ، وإن كان في أغلب الأحيان خرّج للسبعة[2]، وقد تكون القراءة للعشرة. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾[3]، قال الزمخشري: قرأ أبو عمرو وابن كثير (أنّي) بالفتح وكسر الباقون، ولو رجعنا إلى كتب القراءات لوجدناها كما يلي:

قرأ ابن كثير وابن عمرو وأبو جعفر (إنّيَ أنا) بكسر الهمزة وفتح الياء، و(أنّيَ أنا) بفتح الهمزة وفتح الياء، وقرأ باقي العشرة (إنِيْ أنا) بكسر الهمزة وإسكان الياء.[4]

فنلاحظ أنّ الزمخشري هنا خرج القراءة على السبعة، وهي في الأصل على العشرة.

3-عزو القراءة إلى المصر:

إذا تأمّلنا في كتاب الزمخشري نجد الإمام كثيرا ما يقول: "قرأ أهل الحرمين، أو في مصاحف الشام، وغير هذا وهو بذلك ينسب القراءة إلى المصر، ويقصد بذلك أنها قراءة أئمّة ذلك المصر أو أحدهم، أو في مصحف ذلك المصر.[5]

مثالها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[6] قال الزمخشري: " في مصاحف أهل المدينة والشام (الذين اتخذو) بغير واو...".[7]

قال ابن مجاهد: "قرأ نافع وابن عامر (الذين اتخذوا) بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشامّ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعامر وحمزة والكسائي (والذين) بواو وكذلك هي في مصاحفهم.[8]

---

[1] هي لغة بني العنبر يبدلون من السين صادا إذا وليتها(ينظر،عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج:9-ص101، وإبن جني- المحتسب- ج2:-ص282.)

[2] ينظر، محمد محمود الدومي- **القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري**- ص 166.

[3] سورة طه، 11-12.

[4] ينظر، عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات-** ج:5- ص:414، وإبن الجزري- **النشرفي القراءات العشر**-ت: علي محمد الضباع- مصر- القاهرة- د.ت- د.ط- ج:2- ص:319.

[5] ينظر، محمود محمد الدومي- **القراءات المتواترة في تفسير الزمخشري-** ص: 164.

[6] سورة التوبة، 107.

[7] الزمخشري- **الكشّاف-** ج:3- ص:91

[8] ابن مجاهد أبو بكر- **كتاب السبعة في القراءات**- ت: شوقي ضيف- مصر- القاهرة- دار المعارف- د.ط- 1972م – ص:318

4-ذكر القراءة بصفتها دون عزوها:

قد تجد الإمام لا يعزو بعض القراءات لمصر ولا لقارئ ولكن يذكر نوعها إمّا التواتر أو الشذوذ. فمرّات يقول هي قراءة عامة، أو مشهورة أو شائعة وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

فعند تفسير لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾[1] يقول: قرأ ابن عباس (الجُمُل) وسعيد بن جبير (الجَمَل) بوزن النفر، وقرئ (الجُمْلُ) بوزن القفل، و(الجَمَل) يوزن النصب، و(الجَمْلُ) بوزن الحبل ومعناه القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة،... إلاّ أنّ قراءة العامة أوقع لأنّ سم الإبرة مثَلٌ في ضيق المخرج.[2]

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ...﴾[3] فسّرها رحمه الله على القراءة المتواترة (فأَنّ لله) ثم قال وروى الجعفي عن أبي عمرو (فإِنّ لله) بالكسر[4] وتقويه قراءة النخعي (فلله خمسه) والمشهورة آكد وأثبت للإيجاب...).[5]

فتكلم هنا عن المتواتر بوصف الشهرة ويفهم ذلك أنّه ذكر في مقابلها قراءة شاذة، مع أنّه ذكرها في مقابل قراءة متواترة.

وقد ذكر أوصافا أخرى كقوله القراءة الشائعة[6] وغيرها، وهو بهذه الأوصاف قد استغنى عن ذكر أصحاب هذه القراءة.

تلك بعض الصور عن توظيف الإمام للقراءات في كشافه، وطرق عزوها، وموقفه منها وفي الفصل الموالي سأبرز نماذج لأنواع التوجيه البلاغي وصوره في الكشاف.

---

[1] سورة الأعراف، 40.

[2] الزمخشري- **الكشّاف**، ج:2- ص:442.

[3] سورة الأنفال، 41.

[4] روى هذه القراءة كذلك أبو بكر عن عاصم (ينظر، عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات**-ج:3-ص:295)

[5] الزمخشري- **الكشّاف**- ج:2- ص:582.

[6] ينظر، المصدر نفسه- ج:3- ص:541.

الفصل الثاني

نماذج تطبيقية للتوجيه البلاغي في الكشّاف

المبحث الأول: التوجيه البلاغي في القراءات المتواترة.

المبحث الثاني: التوجيه البلاغي في القراءات الشاذة

المبحث الأول

التوجيه البلاغي في القراءات المتواترة

أولا: الالتفـــــــات

ثانيا: الوصل والفصـــل

ثالثـــا: الاستفهـــام

رابعا: الكناية والاستعارة

خامسا: الحذف والذكر

سادسا: التقديم والتأخير

قد أولى الإمام الزمخشري رحمه الله في كشّافه جانب البلاغة العربية ووجوه الأداء البياني التي اشتملت عليها القراءات عناية فائقة، ولا ريب في ذلك إذ كان من أهمّ أغراضه التي عقد تفسيره عليها تجليه وجوه الإعجاز البلاغي في القرن الكريم، وهذا ما ذكر فيما سبق.

ولن أستطيع في هذا الفصل إبراز جميع الصور البلاغية التي وردت حين توجيه القراءات، ولكن سأحاول عرض بعض النماذج المختلفة لهذا النوع من التوجيه، وما تحدثه من أثر في إعجاز النّص القرآني، أبدأ بالمتواترة فهي الأصل وهي التي يُسلّم بصحّتها، ثم أنتقل إلى توجيه نماذج أخرى من القراءات الشاذة.

أولا– الالتفات:

إنّ الالتفات في القراءات القرآنية ذو أهميّة كبيرة لما يتضمّنه من دلالات وقيم تجلي وجوه الإعجاز البياني، ولتحقيق هذه الغاية سألقي الضوء على هذه الآيات، بعد أن نرى كيف عرّف العلماء الالتفات.

1–تعريف الالتفات:

بيّن الإمام السيوطي معنى الالتفات فقال : "نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من التكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها، بعد التعبير بالأول".[1]

كما تناول العلماء المتأخّرون بيان معنى الالتفات فقالوا: "هو المخالفة بين الضمائر".[2]

ويقصدون بالضمائر الغيبة والخطاب والتكلّم.

2–أمثلة عن الالتفات في القرآن:

مرت معي آيات في الكشاف تناولت قراءاتها هذا اللون البلاغي منها ما يأتي:

أ–الآية: قول المولى سبحانه وتعالى ﴿ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾.[3]

ب–القراءات الواردة فيها: ذكرت كتب القراءات في الآية كلمة (يحبون وتذرون) بأوجه هي:

–"تحبون": بالخطاب لكفار قريش المنكرين للبعث،فقد قرأ بها نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف.

---

[1] لسيوطي– **الإتقان في علوم القرآن**– ج:3– ص:229.

[2] حسن طبل– **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**– مصر– القاهرة– دار الفكر العربي– 1418هـ/1998م– ص:23.

[3] سورة القيامة، 20–21

- "يحبون ويذرون": بياء الغيبة على الخبر قرأ بها يعقوب وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر.[1]

ج–دلالات القراءات بلاغيا: والزمخشري يُقرّ أن هاتين القراءتين كلتيهما تحتمل تحقيق أسلوب بلاغي هو الالتفات ولكنه قال "وقرئ بالياء وهو أبلغ".[2]

وبين أبو حيان أن القراءة بالغيب فيها التفات من الخطاب إلى الغيبة أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من دائرة من يحبون العاجلة، حيث أنه لمّا فرغ من خطابه رجع إلى حال الإنسان السابق ذِكره المنكر للبعث، وأن همّه إنما هو في تحصيل حطام الدّنيا الفاني لا ثواب الآخرة.[3]

ثمّ يبرز أسلوب الالتفات في قراءة آية أخرى وهي:

أ–الآية: قوله تعالى:﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾[4].

ب–القراءات الواردة فيها: ورد في كتب القراءات أنّ كلمة (سيعلمون) قرئت كالآتي:

- ستعلمون:بتاء الخطاب، قرأ بها ابن عامر، حمزة وهبيرة عن حفص عن عاصم.
- سيعلمون: بياء الغيبة، قرأ بها الباقون.[5]

ج–دلالات القراءات بلاغيا: قال صاحب الكشاف حين تفسيره وتوجيهه لقراءة التاء: "وقرئ (ستعلمون) بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم، أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات".[6]

---

[1] ينظر، عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات**- ج:10- ص:191، والرعيني الأندلسي أبو عبد الله محمد بن شريح (ت476هـ)- **الكافي في القراءات السبع**- ت: أحمد عبد السميع الكافي- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط.1- 1421هـ/2000م- ص: 224.

[2] الزمخشري- الكشاف- ج:6- ص:269.

[3] ينظر، أبو حيان- **البحر المحيط**- ج:8- ص:379، والألوسي محمود البغدادي(ت127هـ)- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**- لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي-د.ط- د.ت- ج:29- ص:143.

[4] سورة القمر، 25-26.

[5] عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات**- ج:9- ص:231، وابن خالويه- **الحجة** – ص:338، وابن الجزري- **النشر**- ج:2- ص:380.

[6] الزمخشري- **الكشاف**- ج:5- ص: 660.

وقد بيّن علماء آخرون روعة هذا الأسلوب في الآية فقالوا: "هو من بليغ الكلام فيه دلالة على أنّهم أحِقاّء بهذا الوعيد وكأنهم حُضور في المجلس، حوّل إليهم الوجه لينعي عليهم جنايتهم".[1]

ويضع أبو حيّان يده على غرض آخر من أغراض المواجهة بالخطاب، إذ فطن إلى أنّ الالتفات هنا يشير إلى حثّ المخاطبين الامتثال للأمر والتّحذير من مخالفته، ولذا أشار إلى سعة العذاب واقترابه بالغد، وضرب لنا مثلا بشعر الطرماح:

أَلاَ عَلِّلاَنِي قَبْـــلَ نَوْحِ النَّوَائِـــحِ وَقَبْلَ إِضْطِرَابِ النَّفْسِ بَيْنَ الجَوَانِحِ

وَقَبْلَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِـــحِ[2]

وهذا الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ينطوي على معنى الإقبال على المخاطبين أو مواجهتهم بالمنقول إليهم وذلك بحسب المقام، ففي هذه الآية وعيدا حيث انطوى الالتفات على مواجهة المتلقّين بالتّوبيخ والتّقريع، وقد يكون وعدا لأهل الصلاح والتّقوى.[3]

وهكذا تتناغم وسائل التعبير المختلفة وتتجاوب دلالاتها داخل النص القرآني لتصل به في النهاية إلى أسمى غايات الإبلاغ.

ثانيا– الوصل والفصل:

من الأساليب البلاغية التي تكلّم عنها الإمام الزمخشري في تفسيره، وبيّن قيمتها الجمالية والفنية أسلوب "الفصل والوصل" ولهذا اللون البلاغي أثر في النفوس قد جلاّه كثير من البلاغيين والمفسرين.

1 – تعريف الفصل والوصل:

عرّفه العلماء فقالوا: "الفصل ترك العطف بين الجملتين، والوصل عطف الجملة على الجملة بأحد حروف العطف وهو "الواو".[4]

---

[1] السمين الحلبي– **الدر المصون** – ج:10– ص:141.

[2] أبو حيّان– **البحر المحيط** – ج:8– ص:179.

[3] ينظر، أحمد سعد محمد– **التّوجيه البلاغي للقراءات القرآنية** – ص: 342.

[4] عبد المتعال الصعدي– **بغية الإيضاح لتخليص المفتاح في علوم البلاغة**– مصر– القاهرة– مكتبة الأداب– 1420هـ/1999م– ص: 55.

2- أمثلة عن الفصل والوصل في القرآن:

من الآيات التي تكلم فيها صاحب الكشاف عن هذا الأسلوب ما يأتي:

أ-الآية: قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ﴾.[1]

ب-القراءات الواردة فيها: قرئت هذه الآية وصلا وفصلا كما يلي:

-"يقولُ" بغير واو أوّله وبرفع اللام: قرأ بها ابن كثير وابن عامر، ونافع وأبو جعفر، وهكذا جاءت في مصاحف أهل المدينة ومكة والشام.[2]

- "ويقولُ" بالرفع وبواو في أوله : قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي وخلف.

- "ويقولَ" بالنصب وبإثبات الواو: قرأ بها أبو عمرو ويعقوب.[3]

ج-دلالات القراءات بلاغيا: يقول الإمام الزمخشري في توجيه القراءتين: "قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنّه كلام مبتدأ، (أي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت)، وقرئ "يقول" بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أن جواب قائل يقول: (فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟)، فقيل (يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا؟)، فإن قلت: لمن يقولون هذا القول؟، قلت: إما يقوله بعضهم لبعض تعجّبا من حالهم واغتباطا بما منّ الله عليهم من التّوفيق والإخلاص، وإمّا يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنّصرة".[4]

ويتبين لنا في هذا المقام أنّ الزمخشري وجّه هذه الآية معتمدا على الوصل والفصل، وبين تحقّق معنى بلاغة الكلام في كل قراءة وما تُحدث من جمال في الأسلوب.

وقد الوصل والفصل في آية أخرى من القرآن الكريم هي قوله تعالى:

أ-الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾.[5]

---

[1] سورة المائدة:53.

[2] ينظر، عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات**-ج2- ص292، وابن الجزري-**النشر**- ج:2- ص:254، والأزهري أبو منصور محمد بن أحمد (370هـ)- **معاني القراءات**-ت: عيد مصطفى درويش وآخرون- ط.1- 1412هـ- 1991م-دار المعارف-مصر- ج:1- ص:333.

[3] ينظر، المراجع نفسها.

[4] الزمخشري- **الكشاف**- ج:2- ص:251.

[5] سورة التوبة، 107.

ب–القراءات الواردة فيها: تنوعت قراءات أهل الأداء لهذه الآية وصلا وفصلا كما يأتي:

- "الذين اتخذوا" بغير واو: قرأ بها نافع وابن عامر وأبو جعفر.
- "واللذين اتخذوا" بواو عطف على "وآخرون": قرأ بها ابن كثير وأبو عمر، وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب[1].

ج–دلالات القراءات بلاغيا: إذا تصفحنا تفسير الإمام الزمخشري نجده يوجه القراءتين فيقول: "في مصاحف أهل المدينة والشام (الذين اتخذوا) بغير واو، لأنها قصة على حيالها، وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضِّرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم...، فالجملة مستأنفة على قراءة من قرأها غير مفتتحة بالواو، على أن حالهم يختلف عن حال من قبلهم، ومن ذكرها بالواو تكون معطوفة على التي قبلها لأنها مثلها في ذكر فريق آخر مثل من ذكر فيما قبلها".[2]

وهذا الذي ذهب إليه غيره من العلماء في أن قراءة العطف تدل على اتصال هذه الأصناف في أوصافها القبيحة من إيلام وإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم وغيرها.[3]

تلك المزايا في هذا الأسلوب لا يذكرها ويستخرجها إلا من له باع في علم البلاغة كالزمخشري، ولأجل ذلك قال الإمام الجرجاني "معرفة الفصل من الوصل لا يتأتَّى إلاّ لمن طُبعوا على البلاغة، وأُوتوا معرفة في ذوق الكلام، وهم من جعلوا هذا الأسلوب حدّا للبلاغة".[4]

ثالثا– الاستفهام:

استوقفني كتاب الكشاف عند توجيه فنّ آخر من فنون البلاغة ألا وهو الاستفهام، فأشار إلى بعض القراءات التي احتملت معناه.

---

[1] عبد الطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:3– ص:453، وابن الجزري– **النشر**– ج:2– ص:281.

[2] الزمخشري– **الكشاف**– ج:3– ص:91.

[3] ينظر، الفارسي– **الحجة**– ج:2– ص: 346، وابن عطية الأندلسي محمد عبد الحق (ت546ه) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**–ت: عبد السلام عبد الثاني محمد– لبنان– بيروت– دار الكتب العلمية ط1– 1422ه /2001م– ج:3– ص:80–.

[4] عبد القاهر الجرجاني محمد بن عبد الرحمن (ت 474ه)، **دلائل الإعجاز**– علّق عليه محمود محمد شاكر– لبنان– بيروت– دار المعرفة– د.ط– 1982م– ص: 222.

1-تعريف الاستفهام:

هذا الأسلوب عرّفه أهل البلاغة فقالوا: "هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته".[1]

2-أمثلة من القرآن على الاستفهام:

تجلّى هذا الفن البلاغي في آيات منها:

أ-الآية: قوله تعالى: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾.[2]

ب-القراءات الواردة فيها: عند تصفح القراءات المتواترة لكلمة "أن يؤتى" في كتب القراءات نجدها كالآتي:

- آن يؤتى: بالمد على الاستفهام والأصل "أأن" والثانية مسهلة: قرأ بها ابن كثير.
- أن يؤتى: بهمزة على الإخبار قرأ بها بقية العشرة.[3]

ج-دلالات القراءات بلاغيا: يتكلّم الزمخشري توجيهه قراءة الاستفهام فيقول: "...معناه لئن يؤتى أحد مثلما أوتيتم قلتم ذلك ودبّرتموه لا لشيء آخر، يعني أنَّ ما بكم من الحسد والبغي أن يُؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أنْ قلتم ما قلتم. والدّليل عليه قراءة ابن كثير "أآن يؤتى أحد" بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى إلى أن يؤتى أحد".[4]

فحمل الإمام للقراءة على الاستفهام فيه الكشف عمَّا اتَّصف به اليهود من قبائح جمّة أبرزها كتمان للحقائق وإنكار للحقّ، وذاك لما انطوت عليه صدورهم من الحسد، وهذا ما كانوا يفعلونه حين يوصي بعضهم بعضا أن لا يُفصحوا عمَّا جاء في كتبهم من النّبوءات بمحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته.

ويظهر هنا أن صاحب الكشاف لم ينكر قراءة الإخبار، بل وضّح القراءة التي انفرد بها ابن كثير، مبرزا ذلك التنوع البياني بين قراءتي الخبر والإنشاء، لأنّ هذه الآية من المواضع التي رأى الموجّهون أنّ سياقها يحتمل الإخبار والاستفهام.

---

[1] أحمد الهاشمي- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع-** ضبط وتدقيق د. يوسف العميلي- المكتبة العصرية- لبنان، بيروت- د.ط- د.ت- ص:78.

[2] سورة آل عمران، 73.

[3] ينظر، ابن الجزري- **النشر**- ج:2- ص:240، وعبد الرحمان الخطيب- **معجم القراءات**- ج:1- ص:519.

[4] الزمخشري- **الكشاف**- ج:1- ص: 570 .

تجلى أسلوب الاستفهام في قراءة آية أخرى هي:

أ–الآية: قول المولى سبحانه: ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾.[1]

ب–القراءات الواردة فيها: قُرأت كلمة "اصطفى" في كتاب الله كالآتي:

- بوصل الهمزة على لفظ الخبر فيبتدئ بهمزة مكوّرة: قرأ بها أبو جعفر وكذا ورش بخُلْف عنه.
- بقطع الهمزة على الاستفهام: قرأ بها بقية القرّاء.[2]

ج–دلالات القراءات بلاغيا: إن الإمام الزمخشري حين يوجه قراءة الجمهور يقول: "بفتح الهمزة للاستفهام على طريق الإنكار والاستبعاد"[3]، ثم يُفسّر هذه الآية والتي قبلها وكذا التي بعدها فيقول: "...فهذه الآيات صادرة على سخط عظيم وإنكار فظيع واستبعاد لأقاويلهم شديد، وما الأساليب التي وردت عليها إلاّ ناطقة بتسفيه أحلام قريش، وتجهيل نفوسها وإستركاك عقولها مع استهزاء وتهكّم عجيب".[4]

هاتين الآيتين من بين الآي التي أبرز لنا الإمام فيها أسلوب الاستفهام، ثمّ كشف عن المعاني التي اشتمل عليها وكيف أحدثت في أذن السَّامع وفي قلبه أثرا بليغا إن هو تدبّر.

رابعا– الكناية والاستعارة:

تحدّث أهل البلاغة عن أسلوبَي الكناية والاستعارة وكيف تحُدث في الكلام جمالا، واستنبطوا هذه الأوجه من القرآن.

1–تعريف الكناية:

عرفها أهل هذا الفن فقالوا: هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه في الوجود وردفه.[5]

---

[1] سورة الصافات، 153.

[2] ينظر، ابن الجزري– **النشر**– ج:2– ص: 360، والأزهري– **معاني القراءات**– ج:2– ص: 332–324.

[3] الزمخشري– **الكشاف**– ج:5– ص:232.

[4] المصدر نفسه.

[5] عبد القاهر الجرجاني– **دلائل الإعجاز**– ص: 66.

وقد قيل عن هذا الفن أنّه من أبدع وأجمل فنون الأدب، ولا يستطيع تصيّد الجميل النَّادر منها ووضعه في الموضع الملائم لمقتضى الحال إلا أذكيا البلغاء وفُطناؤهم، وممارسو التعبير عمّا يريدون التعبير عنه بطرق جميلة بديعة غير مباشرة.[1]

2-أمثلة عن الكناية في الكشاف:

أبرز لنا الإمام في كشّافه نماذج للكناية في آي القرآن أذكر منها واحدا:

أ-الآية: قول المولى سبحانه :﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾.[2]

ب-القراءات الواردة في الآية: ذكرت كتب القراءات أنّ لفظة "مسجد" قرئت كالآتي:

- المسجد بالتوحيد: قرأ بها ابن سلمة[3] عن ابن كثير، يعقوب وأبو عمرو.
- المساجد بالجمع: قرأ بها الباقون.[4]

ج- دلالات القراءات البلاغية: قال الإمام الزمخشري: " أمّا القراءات بالجمع ففيها وجهان، أحدهما أن يُراد المسجد الحرام كقراءة الإفراد، وإنّما قيل مساجد، لأنه قبلة المساجد... والثّاني: أن يُراد جنس المساجد، وإذا لم يَصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدّمته وهو آكد، لأنّ طريقته طريقة الكناية، كما لو قلت: فلان لا يقرأ كُتُبَ الله، كنت أنْفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك".[5]

قال الدكتور أحمد سعد محمد: "فلفظ (مساجد الله) -كما نرى- مستعمل في حقيقته، وهو جمع مصادق وقع في حيّز النّفي، ومن ثم ينسحب نفيه على كل فرد من أفراد جنسه، كما يلزم ذلك نفيه عن الفرد المعيّن بحسب السابق، والمقام على طريقة الكناية التي تفيد التّأكيد بعموم الحكم وعدم صلاحية المشركين لأن يعمروا شيئا من مساجد الله ناهيك عن المسجد الحرام الذي هو إمامها، بل كان تعميره مناط افتخارهم".[6]

---

[1] ينظر،المرجع نفسه.

[2] سورة التوبة، 17.

[3] هو حماد بن سلمة بن دينار، روى القراءة عرضا عن عاصم وإبن كثير، وروى عنه الحروف حرمي بن عمارة وحجاج بن المنهال وغيره، وقد تفرّد عن إبن كثير بهذه الرواية، توفي سنة 167هـ، ينظر، إبن الجزري- **غاية النهاية**- ج:1- ص:233.)

[4] عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات**-ج:3- ص:356- إبن الجزري- **النشر**- ج:2- ص: 278.

[5] الزمخشري- **الكشاف**- ج:2- ص: 20.

[6] أحمد سعد محمد -**التوجيه البلاغي للقراءات**- ص: 450.

3-تعريف الاستعارة:

يعرفها الإمام الجرجاني فيقول:" أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتّشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبّه به فتُعيرهُ المشبه وتُجريه عليه".[1]

وهي في اصطلاح البيانيين: " استعمال لفظ ما في غير ما وضع له في اصطلاح به التخاطب، لعلاقة المشابهة، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاح به التخاطب".[2]

4-أمثلة عن الاستعارة في الكشاف:

في القرآن صور للاستعارة هي:

أ-الآية: قوله تعالى﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾.[3]

ب-القراءات الواردة: قرئت لفظة (تسمع الصم) كالآتي:

- لا تُسمع الصُمَّ: بضم التاء وكسر الميم، والضم بالنصب وكذا الدعاء، قرأ بها الجمهور.
- لا يَسْمَعُ الصُّمُّ: بفتح الياء والميم، والصم رفعا على الواعد، قرأ بها ابن كثير.[4]

ج-دلالات القراءات بلاغيا: قال الإمام الزمخشري حين وجه القراءتين: "قد شُبِّهوا بالموتى وهم أحياء صِحاح الحواس، لأنّهم إذا سمعوا ما يُتلى عليهم من آيات الله، فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سَماعهم كَلاَ سَماع، وكانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحّح السّماع وكذلك تشبيههم بالصمّ الذين ينعق بهم فلا يسمعون...".[5]

وهذه من قبيل الاستعارة التمثيلية، وقد بيّن الفارسي أنّهم لفرط إعراضهم عمّا يُدْعَوْنَ إليه من التوحيد والدّين كالميّت الذي لا سبيل إلى إسماعه وإعلامه شيئا، وكالصمّ الذين لا يسمعون، ومن قرأ "لا يسمع" فالمعنى: أنهم لا ينقادون للحق لعنادهم وفرط ذهابهم عنه كما لا يسمع الأصمّ ما يُقال له.[6]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني- **دلائل الإعجاز**- ص: 67.

[2] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني- **البلاغة العربية أسسها و علومها وفنونها**- ج:1- ص:229.

[3] سورة النمل، 80.

[4] ينظر، عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات – ج:6 – ص: 554 / ابن الجزري– النشر– ج: 2 – ص:399**

[5] الزمخشري – **الكشاف** - ج:4 - ص:472.

[6] الفارسي- **الحجة في القراءات السبع** -ج:5- ص: 405

وبحسب كلام الفارسي وتوجيهه فإن الصورة التمثيلية قائمة في الآية على وجهي قراءتها.[1]

وها هو الإمام الزمخشري كعادته لم يحد عن هذا الفنّ من فنون البلاغة، وأبرز لنا منه نماذج عند توجيه القراءات في كشّافه والاستعارة عنده تدل عليها أحوال الكلام وقرائنه.

خامسا– الحذف والذكر:

تناول الموجّهون ظاهرة الذكر والحذف وأشاروا إلى كثير من صورها المعهودة في بحث اللغة والبلاغة التي ترتّبت على تفاسير القراءات وتوجيهها.

1–تعريف الذكر والحذف:

هذا الأسلوب إذا وجد في القرآن يعرّف من خلال وجهين من وجوه القراءة، أحدهما: من تحقّق فيه الذكر أو الحذف نصّا بأن تحذف إحدى القراءات ما ذكر في الأخرى، أمّا الآخر: وكان أكثرهما شيوعا، فهو ما دلّ تغايره الإعرابي أو التّصريفي على أن ثمة محذوفا يجوز تقديره في الكلام جريا على أصله في العربية[2].

ولعلنا سنلحظ هذا اللون البلاغي في مواضع متفرقة من آي القرآن منها على سبيل المثال:

أ–الآية: قول المولى سبحانه : ﴿ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾.[3]

ب–القراءات الواردة في الآية: من الألفاظ التي احتملت أوجها للقراءة في الآية قوله:

- "فَإِنَّ لله" :بكسرة الهمزة على أن تكون "إن" وما عملت فيه مبتدأ أو خبر في موضع خبر الأولى وقد قرأ بها أبو عمرو وعاصم.
- فأَنَّ لله: بفتحها على تقدير "فالحكم أنّ لله" فهو على تقدير خبر مبتدأ محذوف، وهذه قرأ بها الباقون.[4]

ج–دلالات القراءات بلاغيا: عند تفسير هذه الآية في الكشاف يوجه الإمام قراءتها فيقول: "(فأنّ) مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب على أنّ لله خمسه، وروي عن أبي عمرو (فإنّ) بالكسر، وتقويه قراءة

[1] أحمد سعد محمد – **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**– ص: 422.

[2] أحمد سعد محمد– **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية –** ص: 255.

[3] سورة الأنفال: 41.

[4] ينظر، النحاس– **إعراب القرآن** – ص:213/ السمين الحلبي– **الدر المصون**–ج:5– ص:606./ عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:3– ص: 295.

النخعي (فلله خمسه)، والمشهورة آكد للإيجاب كأنه قيل: فلابد من ثبات الخمس فيه، لا سبيل إلى الإخلاف به والتّفريط فيه، من حيث إنّه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدّرات كقولك: ثابت واجب حق لازم، وما أشبه ذلك كان أقوى للإيجاب من النّص على واحد".[1]

ثمّ تابع صاحب الكشاف تفسيره للآية فقال: "فإن قلت بم تعلّق قوله: (إن كنتم آمنتم بالله)؟، قلت بمحذوف يدل عليه "واعلموا" المعنى: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنّ الخمس من الغنيمة يجب التقرّب به، فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة.[2]

فهذا الحذف قد أحدث في الأسلوب معنى يثير النفوس ورحم الله الإمام الجرجاني لمّا قال: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن".[3]

من هذا المثال رأينا أنّ للحذف مزيّة يزدان بها الكلام حسنا، ويجمل رونقا، ولذا اهتم الإمام الزمخشري ببيانه في تفسيره.

سادسا– التّقديم والتّأخير:

أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب التي لها أثر بلاغي قد أشار الزمخشري إليه في تفسيره، وبين لنا مزاياه.

1–تعريف التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير هو أن تتقدّم لفظة من الآية على أختها قراءة بينما تنعكس هذه الصورة في القراءة الأخرى فيتقدّم اللفظ المتأخّر ويتأخّر المتقدّم، ويكون ظاهرا في القراءة لا مستنبطا من التوجيه، وهذا النوع قد وسم معظمه بالشذوذ، كما يكون التقديم والتأخير ما ترتب على تغاير الأوجه الإعرابية والصرفية بين القراءات، من تقديرات نحوية تحتمل تقديما أو تأخيرا، فيختار الموجه هذا التقدير أو ذاك، إما مسايرة لمذهبه، وإما قصدا إلى بيان وجه بلاغي يستدعيه السياق ويتطلّبه المقام.[4]

---

[1] الزمخشري– **الكشاف**– ج:2– ص:581.

[2] المصدر نفسه– ص:584.

[3] الجرجاني– دلائل الإعجاز– ص:146.

[4] ينظر، أحمد سعد محمد– **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**– ص: 203، ومحمد أحمد عبد العزيز الجمل– **الوجوه البلاغية في القراءات القرآنية**– ص: 466.

ويتكلم الإمام الجرجاني عن هذا الباب في البلاغة فيقول: "هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن، واسع التصرّف بعيد الغاية.[1]

وبما أن التقديم والتأخير أسلوب بلاغي يزيد من بيان المعنى وإعجازه تجد منه في القرآن وهذه نماذج عن الآيات التي حاول الإمام إظهار هذا الأسلوب فيها:

2-أمثلة عن التقديم والتأخير في القرآن: في القرآن آيات حوت هذا اللون البلاغي هي:

أ-الآية: قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾.[2]

ب-القراءات الواردة فيها: إنّ لفظة "قاتلوا وقتلوا" قرئت في كتب القراءات كما يأتي:

- (وقاتلوا وقُتِلوا)، الأول مبني للفاعل والثاني للمفعول.قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر ويعقوب.[3]
- (وقُتِلُوا وقاتَلوا)، يبدأون بالمبني للمفعول ثم بالمبني للفاعل.وقرأ حمزة والكسائي وخلف.[4]

ج-دلالات القراءات بلاغيا: قال الزمخشري في تفسير هذه الآية "(وقَاتَلُوا وقُتِلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا، وقرئ "وقُتِّلُوا" بالتّشديد، (وقُتِلَوا أو قَاتَلُوا) على التّقديم بالتّحقيق والتّشديد، (وقَتَلُوا وقَاتَلُوا) على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول، (وقتلوا أو قتلو) على بنائهما للفاعل.[5]

---

[1] الجرجاني- **دلائل الإعجاز-** ص: 80.

[2] سورة آل عمران، 195.

[3] ينظر، عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات-** ج:1- ص:648، وابن الجزري- **النشر-** ج:2- ص:246، والأصبهاني- **المبسوط في القراءات العشر-** ص:173.

[4] عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات-** ج:1- ص:648-649، ومكي بن أبي طالب- **الكشف عن وجوه القراءات-** ج1- 375، وابن غلبون- **التذكرة في القراءات الثمان-** ص:301.

[5] الزمخشري- **الكشاف-** ج:1- ص: 680.

وأشار إلى ذلك الإمام الألوسي فقال: "وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في هذا الباب، إيذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله بل بكونه أحبّ إليهم من الحياة، وفيه على ما قيل دلالة على جزائهم حيث لم ينكسروا لأن قُتل بعضهم".[1]

هذه نماذج قد أبرز لنا فيها الإمام الزمخشري صورا للبلاغة في القراءات، وقد تنوّعت كما أظهرت بين كناية والتفات واستفهام... وكلّها في القراءات المتواترة، وسأعرّج في المبحث الموالي على نماذج أخرى في غير المتواتر.

[1] الألوسي- **روح المعاني-** ج:4- ص:345 ، وفضل حسن عباس- **القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية**- ص: 32./ محمد عبد العزيز الجمل- **الوجوه البلاغية للقراءات البلاغية**- أطروحة دكتوراه في التفسير و علوم القرآن- إشراف حسن فضل عبّاس- جامعة اليرموك- إربد- الأردن- 1426هـ-2005م- ص:469.

المبحث الثاني

التوجيه البلاغي في القراءات الشاذّة

أولا: الالتفات والاستفهام

ثانيا: التقديم والتأخير

ثالثـــا: المبالغـــــــــة

رابعا: الحذف والزيادة

خامسا: التذكير والتأنيث

سادسا:الكناية والتجريد

في هذا المبحث ستظهر لنا وجوه بلاغية أخرى من القراءات الشاذة وسنرى كيف وجّهها صاحب الكشّاف بلاغيا، وكيف أبرز الجانب الجمالي فيها، خاصّة وأن القراءات الشاذّة هي أكثر ما أعمل فيه البلغاء أقلامهم لبيان وجوهها.

أولا– الالتفات والاستفهام:

1–الالتفات:

وردت منه في القراءات الشاذة نماذج كثيرة منها

أ–الآية: قول المولى سبحانه وتعالى في قرآنه: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾.[1]

ب–القراءات الواردة فيها: بيّن القراء أنّ كلمة " ترجعون" قرئت كالآتي:

- (تَرجِعون)، بفتح التاء وكسر الجيم مبنيا للفاعل: قرأ بها يعقوب وأبو عمرو.
- (تُرجَعون)، بضم التاء وفتح الجيم مبنيا للمفعول: قرأ بها الباقون.[2]
- (يَرْجِعُون)، بياء مبنيا للفاعل على معنى جميع الناس: في الشاذ فقد قرأ بها الحسن.[3]

ج–دلالات القراءات بلاغيا: قال صاحب الكشاف حين تفسير لهذه الآية: "وقرء (يرجعون) بالياء على طريقة الالتفات".[4]

هذه القراءة شاهدة على الالتفات من الخطاب "اتقوا" إلى الغيبة "يرجعون" ولعل الحكمة من هذا الالتفات أن فيه إلماح إلى مدى رفق الله سبحانه وتعالى بصالحي عباده المطيعين لأمره كما ذكر صاحب المحتسب فقال "ذلك أنّ العود إلى الله للحساب أعظم ما يخوّف ويتوعّد به العباد، فإذا قرئ (ترجعون فيه إلى الله) فقد خُوطبوا بأمر عظيم، فقال لهم (اتقوا) ثم رجع في ذكر الرّجعة إلى الغيبة فقال: (يرجعون) أي (اتقوا أيها المطيعون يوم يعذّب فيه العاصون)".[5]

وتبقى المتواترة أولى لاشتمالها على شروط القبول، كما أنّها لا تخلو من إعجاز بلاغي.

---

[1] سورة البقرة، 281.

[2] الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد– **التيسير في القراءات السبع**– ص:85، وابن جني– **النشر**–ج:2– ص:236،والأصبهاني– **المبسوط في القراءات العشر**– ص:155

[3] ينظر، عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:1– ص:411، والسمين الحلبي– **الدار المصون**–ج:2– ص:649، وابن جني– **المحتسب**– ج:1– ص:145.

[4] الزمخشري– **الكشاف**– ج:1– ص:510.

[5] ابن جني– **المحتسب**– ج:5– ص:344.

يبرز هذا الأسلوب في آية أخرى في الشاذّ:

أ–الآية: يقول المولى جلّ جلاله: ﴿ سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِیٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِی بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَـٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾.[1]

ب–القراءات الواردة فيها: بينت كتب القراءات أنّ لفظة "لِنُرِيَه" قرئت كالآتي:

- "لِنُرِيَه" بنون العظمة وهذه القراءة المتواترة.[2]
- "لِيُرِيَه" بالياء تحت وهذه القراءة الشاذة وقد قرأ بها الحسن[3].

ج– دلالات القراءة بلاغيا: ذكر صاحب الكشاف توجيها للقراءة الشاذة فقال: " وقرأ الحسن (لِيُرِيَه) بالياء، ولقد تصرّف الكلام على لفظ الغائب والمتكلّم، فقيل: (أسرى) ثم (باركنا) ثم (ليريه) على قراءة الحسن ثم (آياتنا) ثم (إنه هو)، وهذه طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة"[4].

ويزيد صاحب الدر المصون بيان روعة الالتفات في هذه القراءة إذ يقول: "وعلى هذه القراءة أربعة التفاتات أولا من الغيبة في قوله: (ٱلَّذِیٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ) إلى التكلّم في قوله: (بَـٰرَكۡنَا)، ثم التفت ثانيا من التكلم في (باركنا) إلى الغيبة في (ليريه)، ثم التفت بالياء من هذه الغيبة إلى التكلم في (آياتنا)، ثم التفت رابعا من هذا التكلم إلى الغيبة في قوله: (إنه هو)"[5].

فلنتأمل كيف ينبّه الإمام إلى هذا الأسلوب البلاغي، الذي يزيد المعنى جمالا والفكر انتباها، مع أن القراءة المتواترة في هذه الآية هي كذلك اشتملت على معنى الالتفات، ولكن الإمام أشار إلى الشاذة لأنه فيها فائدة تنوّع الالتفات، وتبقى المتواترة هي الأصل.

2–الاستفهام:

ورد منه في القراءات الشاذة الكثير، ونلمحه في الآيات المتنوعات من القرآن الكريم:

---

[1] سورة الإسراء، 1.

[2] عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:5– ص:4.

[3] الألوسي– **روح المعاني**–ج:15– ص:03، والسمين الحلبي– **الدر المصون**–ج:7– ص:307، وعبد الفتاح القاضي– **القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب**– لبنان– بيروت– دار الكتاب العربي– د.ط–1401هـ–1981م– ص:60.

[4] الزمخشري– **الكشاف**– ج:4 – ص:123.

[5] السمين الحلبي– **الدر المصون** – ج:7– ص: 307.

أ–الآية: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[1]

ب–القراءات الواردة فيها: ذكر أهل الأداء لكلمة "أحق هو" قراءات هي:

- " أَحَقٌّ هُوَ" فهو مبتدأ وحق خبر عنه، وهذه القراءة المتواترة عن العشرة.[2]
- "آلحقّ هو"، قرأ بها الأعمش[3] وهي في الشاذ.[4]

ج– دلالات القراءة بلاغيا: يقول الزمخشري في توجيه هذه الآية "(أحق هو) هو استفهام على وجه الإنكار والاستهزاء، وقرأ الأعمش (آلحق هو) وهو أدخل في الاستهزاء لتضمّنه معنى التعريض بأنه باطل".[5] ونبّه أبو حيان إلى رأي الزمخشري فقال:" تضمن معنى التعريض بأنّه باطل، وذلك أنّ اللام للجنس، فكأنّه قيل أهو الحق لا الباطل؟، أو أهو الذي سمّيتموه الحق؟ ".[6]

فالزمخشري يوجّه المتواترة على أنها استفهام ولكن يبرز جانبا آخر في الشاذة وهو أنه أدخل في الاستهزاء، وتبقى المتواترة هي المقدَّمة كما أفادت نفس المعنى وقد يدعمها معنى القراءة الشاذة ولا يقدّم عليها كما رأى الإمام.

ثانيا– التقديم والتأخير:

وُجد في القراءات الشاذة نماذج لأسلوب التقديم والتأخير وقد بيّنها صاحب الكشاف وأشار إليها.

1–أمثلة من التقديم والتأخير في القرآن:

---

[1] سورة يونس: الآية 53.

[2] ينظر، عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:3– ص:569.

[3] هو سليمان بن مهران الأعمش ولد سنة 60هـ، أخذ القراءة عرضا عن إبراهيم النخعي وزيد بن وهب وعاصم، وروى عنه عرضا حمزة الزيات، كان حافظا مثبتا واسع العلم بالقرآن، مات سنة148هـ (ينظر، محمود الحصري– **أحسن الأثر في تاريخ القراء الأربعة عشر**– مصر– العباسية– مطابع شركة الشركات– د.ط– د.ت– ص: 98.)

[4] عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:5– ص: 570/ أبو حيان– **البحر المحيط**– ج:5– ص:167.

[5] الزمخشري– **الكشاف**– ج:3 – ص:149.

[6] أبو حيان– **البحر المحيط**– ج:5– ص: 167.

أ–الآية: قول المولى سبحانه : ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴾.[1]

ب–القراءات الواردة فيها: قرئت هذه الآية كما يأتي:

- " وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ"، و هي قراءة متواترة.[2]
- " وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقّ بِالْمَوْتِ"، بتقدّم لفظة الحق على الموت، وقرأ بها أبي بن كعب وابن مسعود وأبو بكر وسعيد بن جبير.[3]

ج–دلالات القراءة بلاغيا: لما يفسر الإمام هذه الآية يُولي اهتماما لمعنى القراءة الشاذة فيقول: " وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما (سكرة الحق بالموت) على إضافة السّكرة إلى الحقّ والدّلالة على أنّها السّكرة التي كتبت على الإنسان وأوجبت له، وأنّها حكمة. والباء للتعدّية، لأنّها سبب زُهوق الرّوح لشدّتها، أو لأنّ الموت يعقبها، فكأنّها جاءت به، ويجوز أن يكون المعنى: جاءت ومعها الموت، وقيل سكرة الحقّ سكرة الله، أضيفت إليه تفظيعا لشأنها وتهويلا ".[4]

ونلحظ أنّ الإمام استفاض في تفسير هذه الآية وتوجيهها على التقديم والتأخير الذي جاء في القراءة الشاذّة، وهي حجة لمن فسّر الموت في قوله تعالى: "وجاءت سكرة الموت بالحق أي "وجاءت سكرة الموت بالموت"، على أن في الآية تقديما وتأخيرا.[5]

---

[1] سورة ق، 19.

[2] ينظر، عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:9– ص:106، والزجاج أبو إسحاق إبراهيم ابن السري(311)– **معاني القرآن وإعرابه**– ت: عبد الجليل عبده شلبي– لبنان– بيروت– عالم الكتب– ط:1– 1408 هـ/1988م– ج:5– ص: 45.

[3] ينظر،عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**–ج:9– ص: 106، وابن خالويه– **مختصر في شواذ القرآن**– ص:145، وابن جني– **المحتسب**– ج:2– ص:283.

[4] الزمخشري – **الكشاف**– ج:5– ص:598.

[5] ينظر، القرطبي– **الجامع لأحكام القرآن**– ج:19– ص:441–442، وعبد العلي المسؤول– **القراءات الشاذة وضوابطها والاحتجاج بها في الفقه وفي العربية**– ص:402.

ثالثا– المبالغة:

تنوّع مفاهيم العلماء حول المبالغة واختلفت أساليبهم في التّعريف بها وإن كانت تدور حول الوفاء بحقّ المعنى أو الوصول به إلى أقصى غاياته.

1–تعريف المبالغة:

يرى أهل هذا الفن أن المبالغة هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التّفسير عن أصل اللغة.[1]

وقد كشفت لنا نصوص الموجهين في ذلك عن تواردها عندهم على ضربين، أحدهما المبالغة النّاشئة عن تغاير في دلالة بعض التّراكيب لتغاير وجه القراءة بها في إعراب أو تصريف، أمّا الضرب الآخر فهو المبالغة النّاشئة عن تغاير صيغ الكلمات المفردة بالعدول عن بنية إلى أخرى للدلالة على كبر المعنى أو تكثيره[2].

2–أمثلة عن المبالغة في القرآن:

هذا الفن البلاغي قد وجد منه في توجيه للقراءات الشاذة في تفسير الكشاف نماذج أذكر منها على سبيل المثال:

أ–الآية: قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾.[3]

ب–القراءات الواردة فيها: قد ذكرت كتب القراءات أن لفظة (كشف) قرئت على الوجه الآتي:

- "كَشَفَ الضُّرَّ" ، هي قراءة جمهور القراء العشرة .
- "كَاشَفَ الضرّ "، وهي في الشاذّ قرأ بها قتادة والزهري .[4]

ج–دلالات القراءة بلاغيا: يُفسّر صاحب الكشّاف هذه الآية ويوجّه قراءتها قائلا: "وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى من كشف، لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة".[5]

---

[1] محمد أحمد عبد العزيز الجمل– **الوجوه البلاغية في القراءات القرآنية–** ص: 302– نقلا من كتاب **النكت في إعجاز القرآن للرماني**

[2] أحمد سعد محمد– **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**– ص: 527.

[3] سورة النحل، 53–54.

[4] ينظر، عبد الرحمان الخطيب– **معجم القراءات**– ج:4– ص:640–641، وابن جني– **المحتسب**– ج:2– ص:10، وابن خالويه– **مختصر في شواذ القرآن**– ص:77.

[5] الزمخشري– **الكشاف**– ج:3– ص:442.

والإمام هنا قد قدّم قراءة شاذّة على متواترة لأن الأولى على وزن "فاعل" فهي على رأيه تدلّ على المبالغة وهي لون من ألوان البلاغة العربيّة، مع أن المتواترة لا تخلو من وجه بلاغي.

واشتملت آية أخرى على هذا الفن وهي:

أ–الآية:قوله سبحانه وتعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ﴾[1].

ب–القراءات الواردة فيها: يذكر أهل الأداء أنّ لفظة "سائحات" قرئت.

- "سائحت"، قد قرأ بها الجمهور فهي في المتواتر.
- "سيّحات" ، قرأها عمرو بن فايد[2]، وهي شاذة[3].

ج–دلالات القراءة بلاغيا: يقول الإمام الزمخشري عن قراءة (سائحات): "...صائمات، وقرأ (سيّحات) وهي أبلغ، وقيل للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه، فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه".[4]

عبّر عن قراءة سيحات بأنها أبلغ مشيرا هنا إلى أسلوب المبالغة، فالتّشديد في لفظة "سيّحات" يفيد المبالغة في تأكيد الوصف وتكثيره، ذلك أنّه أخرج لفظ "سائحات" على أبلغ معانيه، مع أنّ القراءة المتواترة لا تنقصها البلاغة وهي الأولى.

رابعا– الحذف والذكر(الزيادة):

الحذف والزيادة كما ذكرنا من أساليب البلاغة إذ قد يُحدِث الحذف معنى يزيد الآية إعجازا كما أن الزيادة تفعل ذلك.

1–أمثلة عن الحذف والزيادة في القرآن:

سأعطي مثالا هنا عن الزّيادة في بعض القراءات الشاذّة.

أ–الآية: قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴾.[5]

ب–القراءات الواردة في الآية: ذكر علماء القراءات أنّ هذه الآية قرئت كما يأتي.

---

[1] سورة التحريم، 05.

[2] هو عمرو بن فايد أبو علي الأسواري البصري، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، روى عنه الحروف حسان بن محمد الضرير، وبكر بن نصر العطار(ينظر، إبن الجزري– **غاية االنهاية**– ج: 1– ص:532.)

[3] ينظر، عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:9 – ص:525، وابن خالويه،– **مختصر في شواذ القرآن**– ص:159 .

[4] الزمخشري– **الكشاف**– ج:6– ص:160.

[5] سورة العلق: 4.

- علّم بالقلم : وهي القراءة المتواترة للقراء العشرة.
- علم الخط بالقلم : كذا القراءات الشاذة وهي وقد قرأ بها ابن الزبير.[1]

ج–دلالات القراءة بلاغيا: قال الإمام الزمخشري عند توجيه قراءة هذه الآية: "دلّ على كمال كرمه بأنّه علّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل لأنوار العلم، ونبّه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو...ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به وقرأ ابن الزبير (علم الخط بالقلم)".[2]

والإمام أبو حيان يتكلّم عن هذه القراءة فيقول:"ومفعولا علّم محذوفان، وقدّر بعضهم (الذي علّم الخط بالقلم)، وهي عندي على سبيل التفسير لا على أنّها قرآن لمخالفتها سواد المصحف."[3]

فقد قدر مفعول "علّم" المحذوف أي علّم الخطّ بالقلم وعليه القراءة الشاذّة (علمّ الخطّ بالقلم)، وسوغ قول العلماء بالتقدير هنا كون (علم) يتعدى إلى مفعولين، فأحدها تعدى إليه بالباء والآخرون قدروه متعديا له بنفسه وهو (الخط).[4] هذه زيادة قدّرت في القراءة الشاذة وقد حوت معنى بلاغيا.

ويظهر هذا الأسلوب البلاغي في قراءة أخرى هي:

أ–الآية: وهي قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾.[5]

ب–القراءات الواردة فيها: ذكرت كتب القراءات أنّ لفظة " وشاورهم في الأمر" قرئت.

- وشاورهم في الأمر: وهي القراءة المتواترة للعشرة.
- وشاورهم في بعض الأمر: قرأ بها ابن عباس في الشاذ: ".[6]

ج–دلالات القراءات بلاغيا: قال الإمام الزمخشري مبيّنا معنى هذه الآية والوجه البلاغي فيها: " (وشاورهم في الأمر) يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم، ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم... وقرئ (وشاورهم في بعض الأمر)".[7]

---

[1] ينظر، عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:10– ص:502، وأبو حيان–**البحر المحيط**–ج:8– ص: 489.

[2] الزمخشري– **الكشاف**– ج:6– ص:403–404.

[3] أبو حيان– **البحر المحيط**– ج:8– ص:489.

[4] عبد العلي المسؤول– **القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية**–ص: 393.

[5] سورة آل عمران، 159.

[6] ينظر، عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:3– ص:236.

[7] الزمخشري– **الكشاف**– ج:1– ص:647.

وهذا هو المعنى الذي وضّحه أبو حيان لمّا قال: "وقراءة الجمهور (في الأمر)، وليس على العموم إذ لا يشاور في التحليل والتحريم، والأمر إسم جنس يقع للكل وللبعض...وفي ماذا أمر أن يشاورهم؟، قيل في أمر الحرب والدنيا، وقيل في الدّين والدنيا ما لم يرِد نصّ ، وقد ثبت أن المشاورة المقصودة في الآية في بعض الأمور لا في كل الأمور، ومن ثم تقدر (بعض) بين (في) و(الأمر)، ليسوغ المعنى ويشهد لهذه القراءة "وشاورهم في بعض الأمر".[1]

وجعلها ابن حني من باب قولهم "شربت ماءك"، و"أكلت طعامك" وإنما أكلت وشربت بعضهما.[2]

وكلام ابن جني يُفهم منه أن الحذف الموجود في المتواترة هو من باب البلاغة والإعجاز ولا يحتاج إلى الشاذّة ليتضّح إلى أن المقصود بالأمر بعضه فقط لا كله، ولهذا تجده يقول حين يوجّه القراءة الشاذة: " ووجه الدلالة منه قراءة الباقين (وشاورهم في الأمر)، والمعنى واحد في القراءتين". [3]

خامسا– التذكير والتأنيث:

التذكير والتأنيث عند علماء البلاغة يعد من الصور البلاغية التي تزيد المعنى رونقا، وهذا الأسلوب كان حاضرا في القرآن الكريم.

1–الأمثلة عن التذكير والتأنيث في القرآن:

بيّن صاحب الكشاف هذا اللون البلاغي في بعض توجيهاته وهي:

أ–الآية: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾.[4]

ب–القراءات الواردة فيها: في كتب القراءات نجد لفظة لتأتينّكم كما يأتي:

- لَتَأْتِيَنَّكُمْ: بالتاء وهي قراءة جمهور القرّاء العشرة.
- ليَأتِيَنَّكُم: بالياء قرأ بها هارون[5] عن طليق عن أشياخه.[6]

---

[1] أبو حيان– **البحر المحيط**– ج:3– ص:104.

[2] ابن حني– **المحتسب**– ج:1– ص:175–176.

[3] ابن جني– **المحتسب**– ج:1– ص: 176.

[4] سورة سبأ، 3.

[5] هارون بن أحمد بن جعفر أبو محمد النفزي الشاطبي، مقرئ فقيه، أخذ القراءات عن عبيد الله بن نجاح بن يسار، أخذ القراءات عنه ابنه أبو عمرو وأبو عبد الله بن سعادة ولي قضاء الشاطبية، ومات سنة 582هـ.(ابن الجزري– **غاية النهاية**– ج:2– ص: 301)

[6] ينظر، عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:2– ص:324.

ج–دلالات القراءة بلاغيا: حين توجيه صاحب الكشاف لقراءة الياء يقول "وجه من قرأ بالياء: أن يكون ضمير للساعة بمعنى اليوم أو يسند إلى عالم الغيب، أي ليأتينكم أمره كما قال تعالى:

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾[1]".[2]

في هذه القراءة شاهد على عود الضمير في ليأتينكم "على الساعة" بمعنى اليوم أو البعث، أو إلى عالم الغيب والشهادة بمعنى (ليأتينكم أمره)، أو (ثوابه وعقابه)، فهو تذكير مؤنث على ضرب من التأويل.[3] قال إبن جني: " إنّ المخوّف منها إنّما هو عقابها والمأمول ثوابها، فغلب معنى التذكير الذي هو مرجوّ أو مُخوّف، وإذا جاز لضرب من التأوّل كان تذكير المؤنّث –لغلبة التذكير – أحرى وأجدر".[4]

سادسا– الكناية والتجريد:

1–أمثلة عن الكناية في القرآن:

أبرز الإمام الزمخشري في القراءات الشاذّة نماذج لهذا اللون منها:

أ–الآية: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾.[5]

ب–القراءات الواردة في الآية: قرئت لفظة تعولوا كما يأتي:

- تعولوا: قرأ بها العشرة.
- تعيلوا: قرأ بها طاووس[6] ، وهي من الشاذ.[7]

ج–دلالات القراءات بلاغيا: فسر الإمام الزّمخشري هذه الآية فقال عن توجيه هذه اللفظة : "والذي يحكى عن الشافعي أنه فسّر (ألاّ تعولوا) ألاّ تكثر عيالكم، فوجهه أن يجعل من قولك: عال الرجل عياله يعولهم: (مانهم يمونهم)، إذا أنفق عليهم، لأنّ من كثر عياله لزمه أن يعولهم، وفي ذلك ما يُصعِّب عليه

---

[1] سورة الأنعام، 158.

[2] الزمخشري– **الكشاف**–ج:5– ص:107.

[3] ينظر، ابن جني– **المحتسب**–ج:2– ص:185، وأبو حيان– **البحر المحيط**–ج:3– ص:248، وعبد العلي المسؤول–**القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه وفي العربية**–ص:395.

[4] ينظر، ابن جني– **المحتسب**–ج:2– ص:186.

[5] سورة النساء، 03.

[6] هو طاووس بن كيسان أبو عبد الرحمن اليماني التابعي الكبير المشهور، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، أخذ القرآن عن ابن عباس وعظم روايته عنه، مات بمكة قبل التروية سنة 106هـ.(ابن الجزري– **غاية النهاية**– ج:1– ص:309.)

[7] ابن خالويه– **مختصر في شواذ القرآن** – ص: 24، وعبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات**– ج:2– ص: 12.

المحافظة على حدود الكسب وحدود الورع والكسب الحلال والرزق الطيّب،... فسلك في تفسيره هذه الكلمة طريق الكنايات... وقرأ طاووس(ألاّ تعيلوا)".[1]

والقيمة الحقيقية لهذه الكناية التي بزرغت للزمخشري من تأويل الشافعي أنها تُسلم إلى استكناه فقه الآية بطريقة أخرى، تضفي عليه مرونة في التّشريع تتوافق مع واقع الحياة المتغيّر ومطلب الفطرة الإنسانية، وهي مرونة تتأتى من قابلية النص القرآني لتعدّد الأفهام. ولمّا كان التعدد مع الترّخص فيه مظنة لكثرة العيال التي تستلزم كثرة الإنفاق وثقل المؤونة والفقر أحيانا، لا جرم قيّده الله سبحانه عند عدم القدرة على الوفاء بِحقّه بالاكتفاء بواحدة أو بملك اليمين.[2]

2-تعريف التجريد:

هو في عرف جمهور البلاغيين "أن ينتزع من أمرٍ ذي صفة أمرا في مثله تلك الصفة، مبالغة في كمالها فيه.[3] ويترتّب هذا الفنّ عندهم على وسائط لغوية معيّنة، منها التّجريد "بالباء، ومن، وفي، وبه" التجريدية ومنها مخاطبة الإنسان نفسه وكأنه ينتزع منها شخصا آخر يحاوره ويخاطبه[4].

3-أمثلة عن التجريد في القرآن:

مما ورد من هذا اللون البلاغي في القرآن المثال التالي:

أ-الآية: قوله تعالى: ﴿ فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾.[5]

ب-القراءات الواردة في الآية: ذكر أهل هذا العلم أنّ لفظة يرثني ويرث) قرئت كالآتي:

- يَرِثُني ويرِثُ: برفع الفعلين، قرأ بها ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة.[6]
- يَرِثْني ويرِثْ: بجزمهما قرأ بها أبو عمرو والكسائي.[7]

---

[1] الزمخشري- **الكشاف-** ج:2- ص: 17.

[2] أحمد سعد محمد- **التّوجيه البلاغي للقراءات القرآنية-** ص: 447.

[3] المرجع نفسه- ص: 484.

[4] أحمد سعد محمد- **التّوجيه البلاغي للقراءات القرآنية-** ص: 484.

[5] سورة مريم، 05-06.

[6] ابن الجزري- **النشر-** ج:2- ص:317.

[7] ينظر، عبد اللطيف الخطيب- **معجم القراءات-** ج:5- ص: 339-340، وابن خالويه- **إعراب القراءات السبع وعللها-** ج:2- ص:9-10.

- (يَرِثُنِي وأرثْ)، قرأ بها علي وابن عبّاس والحسن ويحي بن يعمر[1] والجحدري[2] وقتادة...
- (يرثني وأرث من آل يعقوب)، قرأ بها ابن عبّاس وعلي والجحدري وجعفر بن محمد وابن يعمر والحسين وقتادة وأبو نهيك[3].

ج–دلالات القراءات بلاغيا: قال الإمام الزمخشري وهو يوجّه قراءة الإمام علي رضي الله عنه وغيره: "وعن علي وجماعة (وأرث من آل يعقوب)، أي يرثني به وارث، ويسمّى التّجريد في علم البيان"[4].

ويأتي ابن جنيّ على ذكر التّجريد كذلك في معنى الآية فيقول: "هذا ضرب من العربيّة غريب، ومعناه التّجريد، وذلك أنك تريد (فهب لي من لدنك وليّل يرثني منه أوبه وارث من آل يعقوب) وهو الوارث نفسه، فكأنه جرّد منها وارثا، ومثله قول الله تعالى: : ﴿ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ ﴾[5]، فهي نفسها دار الخلد، فكأنه جرد من الدار دارا، وعليه قول الأخطل:

بِنَزْوَةِ لِصٍّ بَعْدَ مَا مَرَّ مُصْعَبٌ بأَشْعَثَ لاَ يَغْلَى ولاَ هو يقْمُلُ

ومصعب هو نفسه الأشعث فكأنه استخلص منه أشعث".[6]

هذه بعض الوجوه البلاغية في القراءات القرآنية، والتي أبرزها صاحب الكشّاف وبيّن لنا صور الإعجاز البياني في كتاب الله من خلالها، وغيرها كثير لعلّها تكون في دراسة أخرى.

---

[1] هو يحي بن يعمر أبو سليمان العدواني البصري، تابعي جليل، عرض على ابن عمرو وابن عباس، وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق، توفي قبل سنة تسعين(ينظر، ابن الجزري– **غاية النهاية**– ج:2– ص:331)

[2] هو جحدر بن عبد الله اليماني، روى القراءة عرضا عن أبي بكر أحمد بن أبي أويس، وأبي بكر محمد القورسيين، ثلاثتهم عن نافع(المرجع نفسه– ج:1– ص:173.)

[3] عبد اللطيف الخطيب– **معجم القراءات–** ج:5– ص:339–340.

[4] الزمخشري –**الكشاف–** ج:4 – ص: 7.

[5] سورة فصلت، 28.

[6] ابن جنيّ –**المحتسب**– ج:2– ص: 38.

خاتمة

يمكن أن أُعدّد نتائج بحثي في النّقاط الآتية:

- إنّ التنوّع في القراءات القرآنية وتعدّدها لم يكن لمجرد تيسير وتسهيل النطق بها، وإنما للبلاغة نصيبها من ذلك التعدّد، وهذا باب من أبواب الإعجاز.
- تظهر من البحث قوّة الصّلة بين القراءات والبلاغة ذلك أنّ علوم العربية إنّما نشأت في كنف القرآن وظلّه.
- أعمل الإمام الزمخشري في تفسيره جانب البلاغة في القراءات، ممّا أدى إلى إثراء المعنى وتوسيعه، وأعطى قوّة في فهم القرآن.
- ذكر الإمام أغلب جوانب البلاغة في توجيه القراءات في كشّافه.
- أبرز الإمام الزمخشري جوانب البلاغة في القراءات بنوعيها المتواترة والشاذّة، وشكّلت القراءات الشاذة الجزء الأكبر من حجم القراءات في تفسيره لأنّها أكثر ما أعمل فيه النحّاة أقلامهم.
- أكّد لنا الزمخشري في توجيه معنى الآيات صحّة الافتراض أنّ كل قراءة بمثابة آية برأسها، ولو جعلت كلّ قراءة آية على حدة لأفضى إلى التطويل، فدلّ ذلك أنّ تنوّع القراءات ضرب من ضروب البلاغة يجمع بين جمال الإيجاز وكمال الإعجاز.

وأخيرا أقترح أن تكون في المستقبل دراسة إستقرائيّة تهتمّ برصد المظاهر البلاغيّة للقراءات في تفسير الكشّاف، مرتّبة في صورها حسب ترتيب المصحف بالإشارة إلى القراءة ومن قرأ بها، وإلى المظهر البلاغي الذي يمكن أن تحتمله دون التوسّع في التوجيه.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات وأستغفر الله على كلّ نقص أو تقصير.

ملاحق

أولا: جدول القراءات المتواترة

السورة	القراءة	صاحب القراءة	الصفحة
الفاتحة	ملك	القراء السبعة غير عاصم والكسائي	21
البقرة	أأنذرتهم	بإبدال الثانية حرف مد من جنس الأولى ورش عن نافع	25
البقرة	يُخَادِعُونَ يَخْدَعُونَ	حفص عن عاصم وابن كثير وأبو عمرو باقي العشرة	27
البقرة	إثم كثير إثم كبير	فحمزة والكسائي باقي العشرة	12
البقرة	تَرجِعون تُرجَعون	يعقوب وأبو عمرو الباقون	46
آل عمران	آن يؤتى أن يؤتى	قرأ بها ابن كثير بقية العشرة	38
آل عمران	وشاورهم في الأمر	القراء العشرة	52
آل عمران	وقاتلوا وقُتِلوا	نافع وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وقُتِلُوا وقاتَلوا حمزة والكسائي وخلف	44
النساء	تعولوا	القراء العشرة	55
المائدة	يقولُ ويقولُ ويقولَ	ابن كثير وابن عامر، ونافع وأبو جعفر عاصم وحمزة والكسائي وخلف أبو عمرو ويعقوب	36
الأنعام	زين قتلُ أولادَهم شركائِهم	ابن عامر	26
الأنفال	فإنّ لله	الجعفي عن أبي عمرو وأبي بكر عن عاصم	42-32

	فأَنّ لله	البقية	
التوبة	المسجد المساجد	قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب قرأ بها الباقون	40
التوبة	الذين اتخذو والذين اتخذو	نافع وابن عامر وأبو جعفر الباقون	36-31
يونس	أحَقٌّ هُو	القراء العشرة	48
يوسف	كذِبٍ	القراء العشرة	23
النحل	كَشَفَ الضُرَّ	القراء العشرة	50
الإسراء	لِنُرِيَه	القراء العشرة	47
مريم	يَرِثُني ويرِثُ يَرِثْني ويرِثْ	ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة. أبو عمرو والكسائي	56
طه	إنّيَ أنا إنِيْ أنا	ابن كثير وابن عمرو وأبو جعفر باقي العشرة	31
النمل	لا تُسمع الصُمَّ لا يَسْمَعُ الصُّمُّ	الجمهور قرأ بها ابن كثير	41
الروم	ضَعْفٍ ضُعْفٍ	أبو بكر وحفص بخلف عنه عن عاصم وحمزة الباقون	23
سبأ	لَتَأْتِيَنَّكُمْ	القرّاء العشرة	54
الصافات	بوصل الهمزة على لفظ الخبر بقطع الهمزة على الاستفهام	أبو جعفر وكذا ورش بخلف عنه. بقية القراء	37
الحجرات	الحُجَرات الحُجُرات	أبو جعفر باقي العشرة	28
ق	وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ	القراء العشرة	49

القمر	ستعلمون سيعلمون	قرأ بها ابن عامر، حمزة وهبيرة عن حفص عن عاصم. الباقون	34
التحريم	سائحت	القراء العشرة	51
القيامة	تحبون يحبون ويذرون	نافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف. يعقوب وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر	34-33
الأعلى	يؤثرون تؤثرون	أبو عمرو الباقون	27
العلق	علّم بالقلم	القراء العشرة	52

ثانيا: جدول القراءات الشاذّة

السورة	القراءة	صاحب القراءة	الصفحة
البقرة	يَرْجِعُون	الحسن	46
آل عمران	وشاورهم في بعض الأمر	ابن عباس	53-52
النساء	تعيلوا	طاووس	55
الأنفال	فلله خمسه	النخعي	40
يونس	آلحْقّ هو	الأعمش	48
النحل	كَاشَفَ الضرّ	قتادة والزهري	50
الإسراء	لُيرِيَه	الحسن	47
مريم	يرِثُنِي وأرثْ يرثني وأرث من آل يعقوب	علي وابن عبّاس والحسن ويحيى بن يعمر والجحدري وقتادة... ابن عبّاس وعلي والجحدري وجعفر بن محمد وابن يعمر والحسين وقتادة وأبو نهيك	56
سبأ	ليَأتِينَّكُم	هارون عن طليق عن أشياخه	54
الحجرات	الحُجْرات	ابن أبي عبلة وسعيد بن المسيب	30
ق	باصقات	لغة بني العنبر	30
ق	وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقّ بِالْمَوْتِ	أبي بن كعب وابن مسعود وأبو بكر وسعيد بن جبير	49
التحريم	سيّحات	عمرو بن فايد	51
العلق	علم الخط بالقلم	ابن الزبير	52

فهارس عامّة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس الأعلام المترجم لها
- فهرس البلدان والأقاليم
- فهرس المصطلحات العلمية

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا: الكتب المطبوعة

1- أحمـــــــد البيـــــلي- الاختلاف في القراءات-لبنان -بيروت-دار الجيل- ط:1-1408هـ /1988م.

2- أحمـــــد سعـــد محمد- التّوجيه البلاغي للقراءات القرآنية- مصر- القاهرة- مكتبة الآداب- د.ط- د.ت.

3- أحمـــــــد الهـاشـــمي- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع- ضبط وتدقيق د. يوسف العميلي- المكتبة العصرية، لبنان- بيروت- د.ط- د.ت.

4- السمين الحلبي أحمـــد – الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون- ت: أحمد محمد الخرّاط- سورية- دمشق- دار القلم- د.ط، د.ت.

5- الألوسي محمود البغدادي- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي- د.ط- د.ت.

6- البغدادي ياقوت الحـموي- معجم البلدان- لبنان- بيروت- دار صادر- د.ط- د.ت.

7- تمـــــــام حســـــن-الأصول-مصر- القاهرة- عالم الكتب-د.ط- 1420هـ/2000م.

8- ابن الجزري أبو الخير محمد- منجد المقرئين- اعتنى به علي بن محمد العمران- د.ط- د.ت.

9- ابن الجزري أبو الخير محمد- غاية النهاية في طبقات القراء – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية- ط$_1$-427هـ/2006م.

10-حاجـي خليفـة عبد الله – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – ت : محمد شرف الدين وآخرون – لبنان – بيروت – دار إحياء التراث العربي- د.ط-د.ت.

11-حســـــن طبـــــــل – أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيـة – مصر- القاهـرة – دار الفكر العربي- 1418 هـ/1998م.

12-أبو حيان محمد بن يوسف – تفسير البحر المحيط – ت: احمد عبد الموجود وآخرون – لبنان- بيروت-دار الكتب العلمية.

13-ابن خالويه الحسن بن أحمد – إعراب القراءات السبع وعللها – ت : عبد الرحمن بن سليمـان

العثيمين – مصر – القاهرة – مكتبة الخانجي– ط1 – 1413هـ/1992م.

14–ابن خالويه بن أحمد – الحجّة في القراءات السبع – ت : أحمد فريد المزيدي – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية – ط1– 1420 هـ/1999م.

15–ابن خلكان أحمد بن محمد – وفيات الأعيان – ت: إحسان عباس– لبنان – بيروت – دار صادر–د.ط–د.ت.

16–الرعيني محمد بن شريح – الكافي في القراءات السبع – ت : أحمد عبد السميع الكافي – لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية – ط1– 1421هـ/2000م.

17–الزبيدي محمد مرتضى– تاج العروس من جواهر القاموس – الكويت – مكتبة التراث العربي– ط2 – 1407هـ/1987م.

18–الزجاج إبراهيم ابن السري – معاني القرآن وإعرابه – ت: عبد الجليل عبده شلبي– لبنان– بيروت– عالم الكتب – ط 1– 1408 هـ/ 1988م.

19–الزمخشري أبو القاسم محمود– أساس البلاغة– ت: محمد باسل عيون السود– لبنان – بيروت– دار الكتب العلمية – ط 1– 1419هـ/1998م.

20–الزمخشري أبو القاسم محمود – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – لبنان– بيروت –ط1– 1433هـ/2012 م.

21–الزمخشري أبو القاسم محمود – ديوان الزمخشري – شرح فاطمة يوسف الخيمي – لبنان – بيروت – دار صادر –ط.1 – 1406/1986م.

22–ابن زنجلة عبد الرحمن محمد– حجّة القراءات– ت: سعيد الأفغاني–لبنان– بيروت – مؤسسة الرسالة– ط5– 1418هـ/1997م.

23–سيب خير الدين – القراءات القرآنية نشأتها وأحكامها – الجزائر– الجزائر– دار الخلدونية – د.ط – د.ت.

24–السمعاني محمد بن منصور– الأنساب – ت: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليمني – مصر– القاهرة– مكتبة ابن تيمية– ط2–1400هـ.

25-الحنبـــلي شهاب الديـــن – شـذرات الذهـب – ت: عبد القادر الأرنـاؤوط وآخـرون – دمشق- سورية -دارابن كثير- ط-1 1406هـ/1986م.

26-الصفـــاقسي علي بن سـالم – غيث النّفع في القراءات السبع- ت: سالم بن غرم الله بن محمد الزهراني- حقّقها كدراسة لأطروحة دكتوراه- أ.د. شعبان بن محمد إسماعيل- السعودية- جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين- قسم الكتاب والسنّة- 1426هـ.

27-طـــــــاش كبـــــري زاده – مفتاح السعادة ومصباح الزيادة في موضوعات العلوم – لبنان – بيروت- دار الكتب العلمية- ط1- 1405/1985م.

28-الطبـــري محمد بن جريـــر– جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ت : محمود محمد شاكر- مصر- القاهرة – مكتبة ابن تيمية – د.ط-د.ت.

29-عبـد الرحمن حبنكة الميداني– قواعد التدبّر الأمثل لكتـاب الله عزّ وجلّ – لبنان – بيروت- دار القلم- ط4 – 1430هـ/2009م.

30-عبد الرحـمن حبنكة الميداني– البـلاغة العربيـة أسسها وعلومها وفنونها – سورية – دمشق- دار القلم- ط.1- 1416هـ/1996م.

31-عبـــد الرحـمن بن خلـدون – المقدمة – ت : الأستاذ خليـل شحـاذة وآخرون – لبنان – بيروت- دار الفكر.

32-عبـــد الفتّـــاح القـــاضي – البذور الزاهرة في القراءات العشـر المتواترة – القاهرة – مصر- دار السلام – ط5- 1432هـ/2011م.

33- عبـــد الفتّـــاح القـــاضي – القراءات الشاذة وتوجيهها في لغـة العـرب – لبنـان – بيـروت – دار الكتـــاب العـــربي – د.ط – 1401هـ/1981م.

34-عبـــد القاهـــر الجرجاني – دلائـل الإعجـاز – علّق عليه محمود محمد شاكر – لبنان – بيروت – دار المعرفة- د.ط- 1982.

35-عبـــد اللطيـف الخطيـب – معجم القراءات – مصر- القاهرة – دار سعـد الديـن – ط.2 – 1430هـ/2009م.

36-عبـــد المتعـــال الصعدي – بغية الإيضاح لتخليص المفتاح في علوم البلاغة – مصر- القاهرة – مكتبة الآداب – 1420هـ/1999م.

37-ابن عطية الأندلسي محمد – المحرر الوجيز في تفسيـــر الكتـــاب العزيز – ت: عبد السلام عبد الثاني محمد- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية ط1- 1422هـ/ 2001م.

38-الفارســـي أبوعلي الحسن – الحجة للقراء السبعة – ت : عبد العزيز رباح وآخرون – سورية – دمشق – دار المأمون للتراث – ط:1- 1404هـ/1984م.

39-ابن فارس أحمد بن زكريا – معجم مقاييس اللغة – ت : عبد السلام محمد هارون – مصر – القاهرة- دار الفكر-د.ط- د.ت.

40-محمـــد حسيـن الذهبي – التفسيـــر والمفسرون – مصر – القاهرة – مكتبة وهبـــة – د.ط – د.ت.

41-محمد حسيـن أبو موسى- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية – مصر- القاهرة- دار الفكر العربي- د.ط – د.ت.

42-محمـــــود الحصـــــري – أحسن الأثر في تاريخ القرّاء الأربعة عشر – مصر – العباسية – مطابع شركة الشركات – د.ط – د.ت.

43-محمـــد الطاهر بن عاشور- تفسير التّنوير والتّحرير- تونس- تونس – الدار التونسية للنشر – د.ط- 1984م.

44-محمـــد الفاضل بن عاشور- التفسير ورجاله – سلسلة البحوث الإسلامية تقديم: سامي محمد متولي الشعـــراوي الأميـــن العـــام لمجمـــع البحـــوث – ط2- 1417هـ/1997م.

45-ابن مجاهـد أبو بكـــــر- كتـــاب السبعـــة في القراءات – ت : شوقي ضيـــف – مصر- القاهرة-دار المعارف- د.ط- 1972م.

46-مصطـــــفى أميـــــن- علي الجارم – البلاغة الواضحة – بريطانيا – لندن- دار المعارف- د.ط- 1999.

47-مصطفى الصاوي الجوينـي- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه – مصر- القاهرة – دار المعارف- ط2- د.ت.

48-مكـــي بـــن أبـــي طالب – الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها – ت: الدكتور محي الدين رمضان- مجمع اللغة العربية- د.ط- 1394هـ/1974م.

49-مكـــي بـــن أبـــي طالب – الإبانـــة عن معني القراءات – ت : عبد الفتاح إسماعيـــل شلبي – مصر- القاهرة – دار نهضة مصر للطبع والنشر-د.ط-د.ت.

50-ابن منظور محمد بن مكر- لسان العرب – ت: عبد الله علي الكبير وآخرون – مصر- القاهرة – دار المعارف – د.ط – د.ت.

51-المهدوي أحمد بن عمّار- شرح الهداية – ت : حازم سعيد حيدر- السعودية – الريـــاض- مكتبة الرشد – د.ط- 1415هـ.

52-نبيل بن محمد آل إسماعيل- علم القراءة نشأته أطواره أثره في العلـوم الشرعيـــة – المملكـــة العربية السعودية- الرياض- ط.1- 1421هـ/2000م.

ثانيا: الرسائل الجامعية

1-إبراهيـم بن عبد الله الزهراني- توجيه القراءات عند الفرّاء من خلال كتابه معاني القرآن – بحـــث مقدّم لنيل درجة ماجيستار- إشراف محمد ولد سيدي الحبيب- السعودية- جامعة أم القرى-كلية الدعوى- قسم الكتاب والسنّة- 1427هـ.

2-خالد بـن سعـــد المطرفي – توجيه القراءات نشأته ومصـادره – بحـث مقدّم لجامعـة القصيم – قسم القرآن وعلومه.

3-خـــــالد سومـــــاني – تأويل القرآن عند المعتزلة من خلاف تفسير الكشّاف – مذكرة لنيل درجة ماجيستار – إشراف الدكتور عمر بلخير – جامعة مولود معمري – تيزي وزو – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة والأدب العربي – 2011.

4-سحر محمد فهمي كردية – منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره – رسالة ماجستر – إشراف عبد الرحمن يوسف الجمل – الجامعة الإسلامية – غزّة – كليـة أصـول الـــدين – قسم التفسير وعلـوم القرآن – 1422هـ/2001م.

5-كواكب محمود الزبيدي – أثر معاني القرآن للأخفش الأوسط في الكشاف للزمخشري – مذكرة لنيل درجة ماجيستار- إشراف الدكتور محمد صالح التكريتي- جامعة بغداد- كلية التربية- قسم اللغة العربية- 2004.

6–محمـــد بـن عـمـر بازمول– القراءات وأثرها في التّفسير والأحكام – أطروحة لنيل درجة الدكتوراه – إشراف الدكتور عبد الستّار فتح الله سعيد– كلية الدعوة وأصول الدين بالمملكة العربية السعودية– جامعة أم القرى– قسم الكتاب والسنة–1412هـ/3114هـ.

7–محمد بن عبد الله القرني – الإمام محمد الطاهر بن عاشـــــور ومنهجه في توجيه القــراءات من خلال تفسيره التّحرير والتّنوير– إشراف محمد ولد سيدي ولد الحبيب– المملكة العربية السعودية– جامعة أمّ القرى –كلية الدعوة وأصول الدين– قسم الكتاب والسنّة– 1427هـ.

8–محمد محمود الدومي – القـــراءات المتواتـــرة في تفسير الزمخشـــري – إشراف محمد علي حجازي جامعة اليرموك – التفسير وعلوم القرآن – إربد الأردن – 1425هـ/2004م.

9–محمد أحـمد الجمـــل – الوجوه البلاغية في القــراءات القــرآنية – أطـروحة دكتوراه في التّفسير وعلوم القرآن– إشراف حسن فضل عبّاس – جامعة اليرموك – إربد – الأردن – 1426هـ/2005م.

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾	04	الفاتحة	22- 25
﴿الٓمٓ﴾	01	البقرة	09
﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾	02	البقرة	09
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ ﴾	06	البقرة	25
﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ ﴾	09	البقرة	11-27
﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾	74	البقرة	20
﴿ كُونُواْ هُودًا﴾	135	البقرة	28
﴿ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾	135	البقرة	29
﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾	136	البقرة	29
﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾	138	البقرة	28
﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ﴾	187	البقرة	19
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾	219	البقرة	11
﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾	259	البقرة	14
﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾	281	البقرة	46
﴿ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ ﴾	73	آل عمران	38
﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾	159	آل عمران	52

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٖ﴾	195	آل عمران	44
﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ.. ﴾	03	النساء	54
﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾	53	المائدة	36
﴿وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	109	الأنعام	23
﴿زَيَّنَ وَكَذَٰلِكَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَـٰدِهِمۡ﴾	137	الأنعام	26
﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾	158	الأنعام	54
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾	40	الأعراف	32
﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ...﴾	41	الأنفال	42-32
﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾	17	التوبة	40
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا ﴾	107	التوبة	36-31
﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾	04	يونس	29
﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾	53	يونس	48
﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾	18	يوسف	24
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا	54-53	النحل	50

﴿ فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾			
﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ﴾	01	الإسراء	47
﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡ ﴾	71	الإسراء	17
﴿ فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ ﴾	06-05	مريم	56
﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ ﴾	12-11	طه	31
﴿ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ ﴾	197	الشعراء	23
﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴾	80	النمل	41
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ﴾	54	الروم	23
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾	03	سبأ	53
﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾	153	الصافات	38
﴿ وَعۡدَ ٱللَّهِ ﴾	20	الزمر	29
﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾	16	غافر	22
﴿ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ ﴾	28	فصلت	56
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾	04	الحجرات	29

﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾	10	ق	30
﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴾	19	ق	49
﴿ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ۝٢٥ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴾	26-25	القمر	34
﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا ﴾	05	التحريم	51
﴿ كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾	21-20	القيامة	33
﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾	22	عبس	14
﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾	16	الأعلى	26
﴿ عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴾	04	العلق	52
﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾	02	الناس	22

طرف الحديث	رقم الصفحة
إنّك لعريض القفى إن أبصرت الخيطين ثم قال لا بل هما سواد الليل وبياض النهار	19
قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم "من ضَعْفٍ" فاقرأني "من ضُعْفٍ"	23

البيت الشعري	البحر	رقم الصفحة
سَهَـــرِي لِتَنْقِيـحِ العُلُومِ الذُّ لِي مِنْ وَصْـــلِ غَانِيَةٍ وَطِيـبِ عِنَـاقِ وَتَمَايُـــلِي طَرَبًـــا لِحَـلِّ عَـوِيصَـــةٍ أَشْهَى وَأَحْـــلَى مِنْ مُدَامَةِ سَـاقِ	الكامل	3
بِنَزْوَةِ لِصٍّ بَعْدَ مَا مَرَّ مُصْعَـــبٌ بأشْعَـثَ لاَ يَغْلَى ولاَ هو يقْـمُل	الطويل	57
أَلاَ عَلِّلاَنِي قَبْلَ نَـوْحِ النَّوَائِـــحِ وَقَبْلَ اضْطِرَابِ النَّفْسِ بَيْنَ الجَوانِحِ وَقَبْلَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْـتُ بِرَائِـــحِ	الطويل	35
فَفِيهِنَّ فَضْلٌ قَـدْ عَرَفْنَا مَكَـــانَهُ فَهُـــنَّ بِهِ جُـــودٌ وَأَنْتُمْ بِهِ بُخَـــلُ	الطويل	24
وَحَسْبِي تَصَانِيفِي وَحَسْبِي رُوَاتُـهَا بَنِينَ بِهِـــمْ سِقَيـــتْ إِلَيَّ مَطَـالِبِي فَإِنِّـــي مِنْهُـــم آمـــنٌ وعَلَيْهِـــمْ وأَعْقَابُهُمْ أَرْجُوهُـــمْ لِلْعَـوَاقِـــبِ	الطويل	3
وَلَـــوْ لَمْ يَلِي الضَّبْيُ عَنِّيَ عِرَاكَهَا لَقَالَتْ يَدُ البَلْـوَى أَدِيمِي بِعَرْكِـــهَا	الطويل	2
وَقَائِـــلَةٍ مَا هَـذِهِ الـــدُّرَرُ الَّتِي تُسَاقِطُهاَ عَيْنَـاكَ سِمطَيْنِ سِمْطَـــيْنِ فَقُلْتُ هِيَ الدُّرَرُ اللَّوَاتِي حَشَا بِهَا أَبُو مُضَرٍ أُذْنِي تَسَاقَـــطُ مِنْ عَيْنِي	الطويل	2
فقدتــه فاضلا فاضـــت مآثـره العلـم والأدب المـــأثور والـــورع صام النهار وقام الليل وهو شـج من خشية الله كـابي اللـــون ممتقع	البسيط	1
إنّ التَّفَاسِيرَ فِي الدُّنيا بِلاَ عَـــدَدٍ وَلَيْـــسَ فِيهَا لَعَمْرِي مِثْلُ كَشَّـافِي إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الهُدَى فَالْزَمْ قِرَاءَتَهُ فَالجَهْلُ كَالدَّاءِ وَالكَشَّافُ كَالشَّافِي	البسيط	6

اسم العلم	الصفحة
الأعمش سليمان بن مهران	48
جحدر بن عبد الله اليماني	56
حماد بن سلمة	38
الضبي محمود أبو مضر الأصفهاني	2
طاووس بن كيسان	55
عمرو بن فايد	51
هارون بن أحمد الشاطبي	54
يحي بن يعمر	56

اسم البلد	رقم الصفحة
بغداد	2
جرجانية	4
خراسان	1
خوارزم	4-1
زمخشر	1
مكة	1
نيسابور	2

المصطلح	رقم الصفحة
الاحتجاج للقراءات	13
الأصول في القراءات	26
الانتصار للقراءات	13
التوجيه البلاغي	18
التوجيه الصرفي	17
التوجيه الصوتي	18
التوجيه الفقهي	18
توجيه القراءات	12
التوجيه النحوي	17
علل القراءات	13
علم التفسير	11
الفرش في القراءات	26
القراءات	10
القراءة المتواترة	27
القراءة الشاذة	27
معاني القراءات	13

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

مدخل: التّعريف بالزمخشري وكتابه الكشّاف. 1-9

أولا- التعريف بالإمام الزمخشري:..... 1

1-مولده ونشأته: 1

2-رحلته في طلب العلم 2

3-مكانته العلمية: 3

4-وفاته وأبرز ما خلف من مؤلفات 4

ثانيا- التعريف بتفسير الكشاف: 4

1-تاريخ وظروف تأليف تفسير الكشاف: 5

2-قيمة الكشاف العلمية وقول العلماء فيه :..... 6

3-بعض الشروحات والحواشي للكشاف: 7

3-الميزة البلاغية في تفسير الكشاف..... 8

الفصل الأول: القراءات عند الزمخشري وأنواع توجيهها. 10-34

المبحث الأول: التّعريف بالقراءات وتوجيهها..... 10

أولا- القراءات وآثارها في التفسير 11

1-تعريف القراءات:..... 11

أ- لغة:..... 11

ب- اصطلاحا:..... 11

2-أثر القراءات في التّفسير: 12

أ- قراءات بيّنت معنى الآية: 12

ب- قراءات وسّعت معنى الآية: 13

ثانيا – توجيه القراءات ودواعي التّأليف فيه: 14

1- تعريف التّوجيه: 14

أ-لغة: 14
ب-اصطلاحا: 14
2- دواعي التّأليف في علم التّوجيه: 15
ثالثا- نشأة علم التّوجيه: 15
1-المرحلة الأولى: 15
2-المرحلة الثانية: 17
رابعا- أنواع التّوجيه.....18
1-التّوجيه النّحوي: 18
2-التّوجيه الصّرفي: 18
3-التّوجيه الصوتي: 19
4-التّوجيه الفقهي: 19
5-التّوجيه البلاغي: 19
أ-معنى البلاغة وعلاقتها بالتفسير: 19
ب-علاقة البلاغة بالقراءات: 20
المبحث الثاني: القراءات في الكشاف وموقف الزمخشري منها 23
أولا- مصادر الزمخشري في القراءات وتوجيهها: 24
1- القرآن الكريم ومصاحفه: 24
2-الحديث: 25
3- رسم المصحف: 25
4-كتب اللغة: 25
5-الشعر: 26
6-كتب التّفسير: 26
ثانيا- موقف الزمخشري من القراءات: 27

ثالثا- توظيفه للقراءات والتّعامل معها: 29
رابعا- عزو الزمخشري للقراءات.....31
1-عزو القراءة للنبيّ: 31
2-عزو القراءة للقارئ أو أحد راوييه: 32
3-عزو القراءة إلى المصر: 32
4-ذكر القراءة بصفتها دون عزوها: 33

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية للتوجيه البلاغي في الكشاف 35- 60

المبحث الأول: التّوجيه البلاغي في القراءات المتواترة 35
أولا- الالتفات: 36
1-تعريف الالتفات: 36
2-أمثلة عن الالتفات في القرآن: 36
ثانيا- الوصل والفصل: 38
1 - تعريف الفصل والوصل: 38
2- أمثلة عن الفصل والوصل في القرآن:..... 39
ثالثا- الاستفهام: 40
1-تعريف الاستفهام: 41
2-أمثلة من القرآن على الاستفهام: 41
رابعا- الكناية والاستعارة:.....42
1-تعريف الكناية: 42
2-أمثلة عن الكناية في الكشاف: 43
3-تعريف الاستعارة: 44
4-أمثلة عن الاستعارة في الكشاف: 44
خامسا- الحذف والذكر: 45
1-تعريف الذكر والحذف: 45

سادسا- التّقديم والتّأخير:.....46
1-تعريف التقديم والتأخير:..... 46
أولا- الالتفات والاستفهام: 50
1-الالتفات: 50
2-الاستفهام: 51
ثانيا- التقديم والتأخير: 52
1-أمثلة من التقديم والتأخير في القرآن:..... 52
ثالثا- المبالغة: 54
1-تعريف المبالغة:..... 54
2-أمثلة عن المبالغة في القرآن:..... 54
رابعا- الحذف والذكر(الزيادة): 55
1-أمثلة عن الحذف والزيادة في القرآن:..... 55
خامسا- التذكير والتأنيث: 57
1-الأمثلة عن التذكير والتأنيث في القرآن: 57
سادسا- الكناية والتجريد: 58
1-أمثلة عن الكناية في القرآن: 58
أبرز الإمام الزمخشري في القراءات الشاذّة نماذج لهذا اللون منها:..... 58
2-تعريف التجريد:..... 59
3-أمثلة عن التجريد في القرآن:..... 59
خاتمة 62
جدول القراءات المتواترة والقراءات الشاذة 64
قائمة المصادر والمراجع..... 70
فهرس الآيات 76
فهرس الأحاديث..... 80

فهرس الأبيات الشعرية 81
فرس الأعلام المترجم لها 82
فهرس البلدان والأقاليم 83
المصطلحات العلمية 83
فهرس المصطلحات العلمية 84
فهرس المحتويات 86